

UNODC



مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة



دليل إرشادي لتنفيذ
برامج التدريب على اكتساب
المهارات الأسرية من أجل الوقاية
من تعاطي المخدرات

مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة
فيينا

دليل إرشادي لتنفيذ برامج التدريب على اكتساب المهارات الأُسرية من أجل الوقاية من تعاطي المخدرات



الأمم المتحدة
نيويورك، ٢٠٠٩

منشورات الأمم المتحدة
Sales No. A.09.XI.8 P

شكر وتقدير

أسهم أفراد كثيرون في إعداد هذا الدليل الإرشادي لتنفيذ برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية من أجل الوقاية من تعاطي المخدرات، فقدموا ما يلزم من مُدخلات ودراسة ووقت وتفانٍ في العمل. ويودّ مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة أن يعرب عن شكره وامتنانه على وجه الخصوص للسيدة كارول كومبفر من جامعة يوتا، التي قامت باستعراض أدبيات الموضوع وتولّت تنسيق المناقشات أثناء اجتماع المشاورة التقنية حول برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، الذي عُقد في فيينا في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٧، واستندت إليه في صياغة مشروع هذا الدليل. كما يودّ المكتب المعني بالمخدرات والجريمة أن يعرب عن بالغ تقديره للخبراء التالية أسماؤهم، الذين شاركوا في اجتماع المشاورة التقنية:

Diana Céron Otoy
Directora Ejecutiva
Mentor Colombia
Colombia

Imran Dhannoo
Director
Dr Idrice Goomany Treatment Centre
Mauritius

Alex Chingin
Primary Prevention Expert
Pompidou Group
Russian Federation

Frances Gardner
Professor of Child and Family Psychology
Course Director, Graduate Programme in Evidence-Based Social Intervention
Department of Social Policy and Social Work
University of Oxford
United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland

Betsy Mann
Parent Educator, Editor
Canadian Association of Family Resource Programs
Canada

Lynn McDonald
Reader, Deputy Director
Social Work Division
School of Health Sciences and Social Care
Brunel University
United Kingdom

Fernando Mendes
Researcher
IREFREA
Portugal

Elaheh Mirzaee
Assistant Professor
Institute for Advanced Education and
Research on Management and Planning
Islamic Republic of Iran

Majella Murphy-Brennan
Research Associate
Parenting and Family Support Centre
University of Queensland
Australia

Pavel Osorio-Belmón
Research Associate
Instituto Mexicano de Investigación de Familia y Población
Mexico

Methinin Pinyuchon
Associate Professor
Thaksin University
Thailand

Roberto Secades
Professor
Faculty of Psychology
University of Oviedo
Spain

ويود المكتب المعني بالمخدرات والجريمة أيضاً أن يعرب عن تقديره للخبراء التالية أسماؤهم، الذين تكرموا
بإتاحة فسحة من وقتهم لاستعراض مشروع صيغة هذا المنشور في إطار عملية استعراض فيما بين النظراء على
نحو غير رسمي:

Anand Chaudhuri
Project Coordinator
United Nations Office on Drugs and Crime
Cambodia

Daniela Fuhr
Technical Officer
Management of Substance Abuse
Department of Mental Health and Substance Abuse
World Health Organization
Switzerland

Matthew Sanders
Director
Parenting and Family Support Centre
University of Queensland
Australia

Nadine Harker
Scientist, Alcohol and Drug Abuse Research Unit
Medical Research Council
South Africa

Gelareh Mostashari
Drug Demand Reduction Senior Expert
United Nations Office on Drugs and Crime
Islamic Republic of Iran

Debbie Allen
Senior Lecturer and Research Fellow
School of Health and Social Care
Oxford Brooks University
United Kingdom

Howard Grahame
Family Services Development Worker
Strengthening Families Programme Manager
Cardiff Alcohol and Drug Team
United Kingdom

Virginia Moolgard
Professor Emerita
Iowa State University
Ames, Iowa
United States of America

Gregor Burkhart
Scientific Manager
European Monitoring Centre for Drugs and Drug Addiction
Portugal

Tara Carney
Scientist, Alcohol and Drug Abuse Research Unit
Medical Research Council
Cape Town
South Africa

Luis Solis
Director de Área
Centros de Integración de Juvenil
Mexico

Elizabeth B. Robertson
Chief
Prevention Research Branch
Division of Epidemiology, Services and Prevention Research
National Institute on Drug Abuse
National Institutes of Health
United States

كذلك يوّد مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة أن يشكر موظفي وحدة الوقاية والعلاج وإعادة التأهيل، التابعة له، وخصوصا كاتري تالا، التي تولّت تنسيق عملية التشاور والإعداد، وقدمت تعليقات جوهرية على النسخة المخطوطة، وكذلك جيوفانا كامبيللو، التي ساعدت في تيسير عمل المشاورة التقنية، وقدمت مساعدة جوهرية طوال مدة انعقادها.

المحتويات

| | |
|-----|---|
| iii | شكر وتقدير |
| ١ | أولاً- مقدمة |
| ٥ | ثانياً- الأسر والحاجة إلى برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية |
| ٥ | الأسرة باعتبارها عامل حماية وعامل خطورة فيما يخص تعاطي مواد الإدمان |
| ٨ | تعريف برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية |
| ١١ | فعالية برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية |
| ١٥ | ثالثاً- مبادئ البرنامج الجيد للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية |
| ٢٧ | رابعاً- جعل برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية متلائمة مع الظروف الثقافية |
| ٢٧ | المبادئ الأولى: الاقتصار على الحد الأدنى من الملاءمة في البداية |
| ٢٨ | الخطوات اللازمة في عملية ملاءمة برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية مع الظروف الثقافية |
| ٣٣ | خامساً- اجتذاب الآباء والأمهات والأسر إلى البرنامج واستبقاؤهم فيه |
| ٣٣ | اجتذاب الأسر إلى البرنامج |
| ٣٥ | استبقاء الأسر في البرنامج |
| ٣٧ | تحديد معايير التخرج من البرنامج |
| ٣٩ | سادساً- اختيار قادة المجموعات وتدريبهم ودعمهم |
| ٣٩ | اختيار قادة المجموعات |
| ٤٠ | تدريب قادة المجموعات |
| ٤١ | دعم قادة المجموعات والإشراف عليهم وتقديم المساعدة التقنية لهم |
| ٤٣ | سابعاً- رصد برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، وتقييم هذه البرامج وضمان استدامتها |
| ٤٣ | رصد البرامج |
| ٤٤ | تقييم تنفيذ البرامج |
| ٤٤ | تقييم تأثير البرامج |
| ٤٧ | ضمان استدامة البرامج |
| ٤٩ | ثامناً- موجز عن فعالية برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، ومبادئها وفوائدها |
| ٤٩ | فعالية برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية |
| ٥٠ | مبادئ برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية |
| ٥١ | فوائد برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية |

أولاً - مقدمة

الأسرة المساندة عنصر أساسي في تنشئة أبناء يتمتعون بالصحة الاجتماعية والعقلية والبدنية ويتحلون بحسن التلاؤم مع محيطهم، وكذلك في وقايتهم من مشاكل المراهقة فيما بعد. وتشمل التحديات التي يواجهها الكثير من الآباء والأمهات في جميع أنحاء العالم وهم يسعون إلى النهوض بأعباء أسرهم: التوازن بين الحياة الأسرية والحياة العملية، وتدبير الالتزامات المالية العديدة، وضمان توفير الإعالة للأسرة، وإقامة الصلات الاجتماعية على نحو واف بالغرض، وإيجاد فسحة من الوقت لكسب يلتم فيها شمل الأسرة معاً. وفي بعض الأحيان، يكابد الآباء والأمهات مشاكل تعاطي المخدرات، مما يؤثر في مهاراتهم الوالدية. وثمة عوامل، مثل الافتقار إلى الأمان والثقة والدفء في العلاقات بين الأبناء والوالدين وانعدام اللحمة البنيوية في الحياة الأسرية وممارسات الانضباط التأديبية غير المناسبة وعدم كفاية وضع الحدود اللازمة للتصرفات، يمكن أن تجعل الأبناء أشد عرضةً لمخاطر أنماط السلوك المسيئة للمشاكل، ثم لما تؤدي إليه لاحقاً من تعاطي المواد المسببة للإدمان ومن اضطرابات في الصحة العقلية.

ولقد تبين أن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية وسيلة فعالة في الوقاية من كثير من هذه الأنماط السلوكية المحفوفة بالمخاطر، بما في ذلك تعاطي مواد الإدمان. ذلك أن النتائج التي توصلت إليها الأبحاث تؤكد أن التدريب على اكتساب المهارات يؤدي نتائج أفضل من نتائج البرامج التي لا تزود الآباء والأمهات إلا بمعلومات عن تلك المواد؛ بل إن ما هو أفضل من ذلك أيضاً أن البرامج التي تشمل إتاحة التدريب على اكتساب المهارات للوالدين والأبناء والأسرة كلها يمكن تنفيذها منذ مرحلة الطفولة الأولى ولغاية مرحلة المراهقة. وقد دلّت هذه البرامج على أنها تحقق تغييراً إيجابياً في أداء الأسرة وظيفتها وفي ممارسة الوالدين دورهما التربوي، وذلك على نحو دائم. وهذا يؤدي إلى تهيئة بيئات أكثر صحة وأكثر مساندة يستطيع فيها الأطفال أن ينموا ويتطوروا.

وضمن الجهود التي يبذلها مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة للترويج للممارسات التي أثبتت الأدلة العلمية فعاليتها، بادر المكتب إلى القيام باستعراض لبرامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية وأدلة إثبات فعاليتها على الصعيد العالمي، بمساعدة من كارول كومبفر من جامعة يوتا. وقد ركزت عملية الاستعراض على البرامج الشاملة التي تستهدف جميع الآباء والأمهات والأسر، وكذلك على برامج انتقائية تستهدف الآباء والأمهات والأسر ممن ينتمون إلى فئات أو مجتمعات محلية تعتبر، بحكم وضعها الاجتماعي الاقتصادي، معرضة على الخصوص لمخاطر مشاكل تعاطي المخدرات. أما البرامج المحددة المستوى التي تُعنى في الأكثر بالعمل بشأن الأفراد الذين تكتنفهم عوامل خطورة كشفت في الحالات المفروزة أو المحالة أو المشخصة، مقرونة باحتمالات عالية الدرجة قد تؤدي إلى حصيلة من النتائج السلبية، والتي تتطلب اختصاصيين مهنيين على مستوى عالٍ من التدريب، فإنها لم تؤخذ في الاعتبار خلال ذلك الاستعراض، إلا في حال كونها جزءاً من برامج متدرجة المستويات، وإن كان يُسلم بأهميتها، من غير ريب.

وقد حُدّد زهاء ١٣٠ برنامجاً من البرامج الشاملة والانتقائية، ودُعي عدد من الاختصاصيين الممارسين ومديري البرامج والباحثين ومعدّي البرامج من العاملين في تلك البرامج من جميع أنحاء العالم، إلى اجتماع

مشاورة تقني بشأن التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، عُقد في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٧. وفي ذلك الاجتماع، تناقش المشاركون حول مبادئ برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، الشاملة منها والانتقائية، الفعالة الموجودة حالياً، وحول مضمونها وتنفيذها وجعلها ملائمة من الناحية الثقافية.

ومن ثم فقد صُنّف هذا الدليل الإرشادي لبرامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية من أجل الوقاية من تعاطي المخدرات، بناءً على استعراض برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية وعلى الاجتماع المذكور وكذلك على استعراض أدبيات الموضوع؛ ويركز الدليل على تقديم معلومات أساسية وتوجيهات إرشادية إلى واضعي السياسات العامة ومديري البرامج المهتمين باستهلال برنامج للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية على المستوى الشامل أو الانتقائي. وسوف ينشر مكتب المخدرات والجريمة قائمة، تكون مصاحبة لهذا الدليل، بجميع البرامج المثبتة فعاليتها التي حُدّدت في أثناء عملية الاستعراض. وسوف تشمل القائمة على معلومات مقدّمة من أجل واضعي السياسات العامة أو مديري البرامج الراغبين في اختيار أنسب برنامج من البرامج الموجودة حالياً المثبتة فعاليتها، لتكييفه لكي يكون ملائماً لظروف مجتمعاتهم المحلية وتنفيذه فيها (أي على سبيل المثال، معرفة مستوى أدلة إثبات الفعالية المتاحة، ومدى تنفيذ البرنامج من قبل في بيئات مختلفة، والفئات المستهدفة التي تبيّنت فعالية البرنامج بخصوصها، وهلمّ جراً). ويؤمل أن يكون كل من الدليل والقائمة مكملًا للآخر في الترويج لتنفيذ هذه الاستراتيجية المهمة بشأن الوقاية من تعاطي مواد الإدمان.

الفصل الثاني من الدليل يستكشف أدلة إثبات الفعالية الخاصة بالأسرة باعتبارها عامل حماية وعامل مخاطر على حد سواء في تطور الأطفال والشباب، وكذلك أدلة إثبات فعالية برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية. والهدف من الفصل الأول هو تسليط الضوء على أهمية البيئة الأسرية في تطور الشباب والأسرة معاً على نحو صحي، وعلى فعالية برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية في الوقاية من تعاطي مواد الإدمان وغيره من أخطار السلوك المحفوفة بالمخاطر.

الفصل الثالث يحدّد ١٢ مبدأً أساسياً بشأن إطلاق برنامج فعال للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية. وقد تم تقييم كثير من برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، وجرى تكرار بعضها في أنساق مختلفة. كما يتضمن الفصل الثالث مناقشة حول كيفية اختيار أنسب برنامج من أجل مجتمع محلي معين، وكذلك وصفاً لما يشتمل عليه أي برنامج أسري فعال.

ويمكن أن ينطوي تنفيذ برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية على تحديات كثيرة أحياناً. ومن ثم فإن الفصول الرابع والخامس والسادس مخصصة لمناقشة تحديات التنفيذ الرئيسية وسبل التصدي لها. وتظهر أدلة إثبات الفعالية والتجارب التي عرضها المشاركون في المشاورة التقنية أن من الممكن تنفيذ برامج للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية تكون فعالة وتحظى بالحضور الجيد على الرغم من تلك التحديات.

وقد حُصّص الفصل الرابع للتطرّق إلى عملية الملاءمة الثقافية لبرنامج موجود حالياً مثبتة فعاليته. ذلك أنه في كثير من الأحوال لن يكون ممكناً ولا مجدياً من حيث التكلفة استحداث برنامج من العدم، ومن ثم فإن الملاءمة هي بديل صالح في هذا الصدد. غير أن عملية الملاءمة نفسها تحتاج إلى التخطيط لها بعناية بغية إيجاد توازن فعال بين الاحتياجات والموارد والخصائص الثقافية في المجتمع المحلي، مع الحرص في الوقت نفسه على الأمانة في الاقتباس من البرامج التي أثبتت فعاليتها بوضوح في أماكن أخرى.

كما إن الكثير من برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية تعاني صعوبات في اجتذاب الآباء والأمهات للانضمام إلى البرنامج وكذلك استبقائهم فيه. ومن ثم فإن الفصل الخامس يستكشف السبل الكفيلة بتحسين معدلات انضمام الآباء والأمهات واستبقائهم.

أما الفصلان السادس والسابع فهما مخصصان لبحث مسائل أساسية خاصة بالتنفيذ، مثل تدريب الموظفين ودعمهم، والرصد والتقييم والاستدامة. ومع أن المسائل من هذا القبيل مشتركة في جميع برامج الوقاية من تعاطي مواد الإدمان، فإن هذه المسائل بذاتها تعدّ حاسمة بالنسبة إلى تحقيق الفعالية في تنفيذ برامج الوقاية.

وأما الفصل الختامي من الدليل فيقدّم نظرة إجمالية تشمل المسائل الرئيسية التي أثّرت في كل فصل سابق، أي قرائن الإثبات الخاصة ببرامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية وفعاليتها وعوامل الحماية وعوامل الخطورة في الأسرة. ويرد فيه مجمل موجز عن المبادئ الناظمة لأي برنامج للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية. وتناقش فيه بإيجاز أيضا تحديات التنفيذ فيما يتعلق باجتذاب الأسر للانضمام إلى البرنامج واستبقائها فيه، وتدريب موظفي البرنامج ورصد البرنامج وتقييمه.

ثانياً- الأسر والحاجة إلى برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية

الأسرة باعتبارها عامل حماية وعامل خطورة فيما يخص تعاطي مواد الإدمان

مع أن الباحثين سَعَوْا إلى تقديم تعريف دقيق للأسرة، تلك الوحدة الأساسية في المجتمع،^{(١)٠(٢)٠(٣)} فإن كل مجتمع وكل ثقافة يعرفان الأسرة على نحو مختلف. ولذلك فإن هذا الدليل الإرشادي لا يسعى إلى تقديم تعريف، لكنه يأخذ بالرأي القائل بأن الأسرة هي تلك الوحدة في أي مجتمع معين التي تشتمل على الأبناء وأولئك الذين يقومون برعايتهم، وهما عادةً الوالدان الطبيعيان للأبناء، ولكن أولئك يمكن أن يكونوا على حد سواء من الأقارب أو غيرهم من الأشخاص البالغين، تبعاً للحال والمجتمع والثقافة.

كثير من التدخلات الاجتماعية المعنية بالأسرة لا يقتصر على الوالدين الطبيعيين وأبنائهما فقط، بل يشمل أيضاً كل من يُعتبر جزءاً من الأسرة. ومن ثم فإن الأشخاص الآخرين الذين يقومون برعاية الأبناء (الجدود والجدّات أو العمات والخالات أو الأعمام والأخوال، أو الأخوة والأخوات ممن هم أكبر سناً، أو المستأجرون لتقديم الرعاية، أو الآباء والأمهات بالتبني أو بالحضانة، وغيرهم) هم أيضاً يمكن دعوتهم إلى الحضور للانضمام إلى برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية. ولهذا فإن التعبيرين "أحد الوالدين" و"مقدم الرعاية الرئيسي" يستخدمان بالتبادل.

وفي حين أن العوامل الوراثية والمزاجية والبيئية كلها تسهم في قبولية نمو الطفل والشباب الياق، فإن العوامل الحركية الناشطة ضمن الأسرة تؤدي دوراً مهماً جداً في هذا الصدد.^{(٤)٠(٥)} ذلك أنه يتضح، على وجه الخصوص، من الأبحاث أن التربية الوالدية التي تتسم بالكفاءة هي عامل حماية جَدِّ قَوِي.^{(٦)٠(٧)٠(٨)٠(٩)} فإن الأسر تستطيع أن تحمي أبنائها من كثير من مختلف أنماط السلوك المحفوفة بالمخاطر ومشاكل الصحة العقلية، بما في ذلك تعاطي مواد الإدمان والجنوح، وذلك بتزويد الأبناء بالأمان العاطفي والاقتصادي، والإرشاد التوجيهي،

S. Minuchin, *Families and Family Therapy* (Cambridge, Massachusetts, Harvard University Press, 1974).^(١)

R. D. Parke, "Development in the family", *Annual Review of Psychology*, vol. 55, 2004, pp. 365-399.^(٢)

Alan Carr, *Family Therapy: Concepts, Process and Practice*, 2nd ed. (West Sussex, John Wiley and Sons, 2006).^(٣)

M. Glantz and A. I. Leshner, "Drug abuse and developmental psychopathology", *Development and Psychopathology*, vol. 12, No. 4 (2000), pp. 795-814.^(٤)

E. M. Cummings, P. T. Davies and S. B. Campbell, *Developmental Psychopathology and Family Process: Theory, Research, and Clinical Implications* (New York, Guilford Press, 2000).^(٥)

M. S. Forgatch and N. M. Knutson, "Linking basic and applied research in a prevention science process", *Family Psychology: Science-based Interventions*, H. A. Liddle and others, eds. (Washington, D.C., American Psychological Association, 2001).^(٦)

E. Maccoby and J. Martin, "Socialization in the context of the family: parent-child interaction", *Handbook of Child Psychology: Socialization, Personality and Social Development*, 4th ed., P. Mussen and E. M. Hetherington, eds. (New York, John Wiley and Sons, 1983), vol. IV, pp. 1-101.^(٧)

T. J. Dishion and S. G. Patterson, *Preventive Parenting with Love, Encouragement and Limits: the Preschool Years* (Eugene, Oregon, Castalia Publishing, 1996).^(٨)

T. J. Dishion, D. W. Andrews and L. Crosby, "Antisocial boys and their friends in early adolescence: relationship characteristics, quality and interactional process", *Child Development*, vol. 66, No. 1 (1995), pp. 139-151.^(٩)

ووضع الحدود على النحو المناسب للتصرف، والإشراف عليهم، وإرضاء حاجاتهم الأساسية، وحفزهم على التطور والاستقرار.^{(١٠)،(١١)،(١٢)،(١٣)}

وقد اختبر الباحثون عدة نماذج لكي يوضحوا من خلالها ما هي الطرق التي تؤثر بها العوامل المختلفة في الإمكانية التي تؤدي بالمرهق إلى الشروع في تعاطي مواد الإدمان. وتبين، في جميع تلك النماذج، أن العوامل الوالدية والأسرية لها وضعية محورية في المسارات الطويلة المدى التي تقود إلى تعاطي مواد الإدمان، في حين أن تأثير الأتراب يؤدي فعله باعتباره عاملاً مساهماً في الفترة الزمنية التي تكون أقرب إلى المرحلة التي يباشر فيها الشباب تناول العقاقير أو الكحول. وبعبارة أخرى، فمع أن تأثير الأتراب كثيراً ما يكون هو السبب الرئيسي الذي يدفع المرهقين إلى مباشرة أنماط السلوك السلبية، فإن وجود بيئة أسرية إيجابية هو السبب الرئيسي الذي يحول دون انخراط الشباب اليافعين في هذه الأنماط السلوكية، بما في ذلك تعاطي العقاقير والكحول، والجنوح، وممارسة النشاط الجنسي المبكرة أو بلا وقاية.^{(١٤)،(١٥)،(١٦)،(١٧)،(١٨)،(١٩)} وفي حين أن من المسلم به أن جماعة الأتراب عامل مؤثر في هذا الصدد، فقد بات معلوماً الآن أن اختيار المرهقين لأترابهم يتأثر هو أيضاً بقدر كبير بالعلاقة القائمة بين الأبناء من الذكور والإناث وأبائهم وأمهاتهم. وعندما يكون المرهقون على علاقة إيجابية بوالديهم، فإنهم على الأرجح يميلون إلى اختيار أتراب يكونون هم أنفسهم أيضاً عنصراً مؤثراً إيجابياً.

كما استبانَت أبحاث^{(١٥)،(١٦)،(٢٠)،(٢١)،(٢٢)،(٢٣)} كثيرة أخرى العوامل الأسرية الحاسمة التي تساعد على وقاية الأبناء من تعاطي مواد الإدمان، ومنها:

(أ) الترابط الآمن والصحي بين الوالدين والأبناء؛

(ب) الإشراف والمراقبة والتأديب والانضباط الفعّال من جانب الوالدين؛

D. Jones, "The assessment of parental capacity", *The Child's World: Assessing Children in Need*, J. Horwath, (10) ed. (London, Jessica Kingsley, 2001), pp. 255-272.

H. van der Vorst and others, "The impact of alcohol-specific rules, parental norms about early drinking (11) and parental alcohol use on adolescents' drinking behaviour", *Journal of Child Psychology and Psychiatry*, vol. 47, No. 12 (2006), pp. 1299-1306.

H. van der Vorst and others, "Parental attachment, parental control, and early development of alcohol (12) use: a longitudinal study", *Psychology of Addictive Behaviors*, vol. 20, No. 2 (2006), pp. 107-116.

H. van der Vorst and others, "Alcohol-specific rules, personality and adolescents' alcohol use: a longitudinal (13) person-environment study", *Addiction*, vol. 102, No. 7 (2007), pp. 1064-1075.

K. L. Kumpfer and C. W. Turner, "The social ecology model of adolescent substance abuse: implications for (14) prevention", *International Journal of the Addictions*, vol. 25, Suppl. 4 (1990), pp. 435-463.

D. V. Ary and others, "Development of adolescent problem behavior", *Journal of Abnormal Child Psychology*, (15) vol. 27, No. 2 (1999), pp. 141-150.

K. L. Kumpfer, R. Alvarado and H. O. Whiteside, "Family-based interventions for substance use and misuse (16) prevention", *Substance Use and Misuse*, vol. 38, Nos. 11-13 (2003), pp. 1759-1789.

M. D. Newcomb and P. M. Bentler, "The impact of late adolescent substance use on young adult health (17) status and utilization of health services: a structural-equation model over four years", *Social Science and Medicine*, vol. 24, No. 1 (1987), pp. 71-82.

E. R. Oetting and others, "Indian and Anglo adolescent alcohol use and emotional distress: path models", (18) *The American Journal of Drug and Alcohol Abuse*, vol. 15, No. 2 (1989), pp. 153-172.

F. Gardner, J. Burton and I. Klimes, "Randomised controlled trial of a parenting intervention in the (19) voluntary sector for reducing child conduct problems: outcomes and mechanisms of change", *Journal of Child Psychology and Psychiatry*, vol. 47, No. 11 (2006), pp. 1123-1132.

R. Simons and others, "A test of latent trait versus lifecourse perspectives on the stability of adolescent (20) antisocial behavior", *Criminology*, vol. 36, No. 2 (1998), pp. 217-244.

N. S. Tobler and K. L. Kumpfer, "Meta-analyses of family approaches to substance abuse prevention", (21) unpublished report prepared for the Center for Substance Abuse Prevention (Rockville, Maryland, 2000).

E. Sale and others, "Risk, protection, and substance use in adolescents: a multi-site model", *Journal of (22) Drug Education*, vol. 33, No. 1 (2003), pp. 91-105.

United States of America, Department of Health and Human Services, National Institutes of Health, (23) *Preventing Drug Use Among Children and Adolescents: a Research-Based Guide for Parents, Educators, and Community Leaders*, 2nd ed., NIH publication No. 04-4212(A) (Bethesda, Maryland, National Institute on Drug Abuse, 2003).

(ج) نقل القيم الأسرية المؤيدة للسلوك الاجتماعي؛

(د) انهماك الوالدين في حياة الأبناء؛

(هـ) عناية الوالدين بمساندة الأبناء (عاطفياً وإدراكياً واجتماعياً ومالياً).

وقد أكدت الأبحاث عن القابلية للتكيف والتعافي هذه البنود أيضاً. وتركز هذه المجموعة من الأبحاث على الأبناء والأسر الذين يعيشون تحت وطأة مشقات حياتية حادة أو مزمنة، وهي تؤكد أن العوامل الوالدية والأسرية تسهم في قدرة الشباب على التغلب على الأوضاع الأسرية المناوئة وتحصيل نتائج إيجابية.^(٢٤) وتبين الأبحاث أن الوالدين اللذين هما سندا لأبنائهما، واللذين يشجعانهم على أن يصبحوا مستقلين في حياتهم، ويتوقعان منهم الامتثال للقواعد، واللذين يكونان متسقين ومنصفين في ممارسة أساليب التأديب والانضباط، يكون أبنائهما أكثر قابلية للتكيف والتعافي من غيرهم من الأبناء. وكثيراً ما يُصنّف هذا الأسلوب في التربية الوالدية في زمرة "التربية الوالدية ذات السلطة المرجعية".^{(٢٥)،(٢٦)} ومن العوامل الأخرى التي تبين أنها تسهم في القابلية للتكيف والتعافي: البيئة الأسرية المنظمة، والعلاقات المتأزرة، ومعتقدات الأسرة، وتماسك الأسرة ومرونتها، ومهارات الأسرة في حل المشاكل والتصدي لها، والتواصل.^{(٢٧)،(٢٨)،(٢٩)،(٣٠)}

وتقدّم الأبحاث أدلة قوية تثبت أن الآباء والأمهات والأسر يمكنهم أن يكونوا عوامل حماية فعالة في حياة الأطفال والشباب؛ وفي مقابل ذلك، تقدّم الأبحاث أدلة واضحة تثبت أن بعض الخصائص الأسرية المعينة يمكن أن تؤثر كعوامل خطورة شديدة.

وقد ربط ما بين ضعف توجيه سلوك الأبناء، والقسوة وانعدام الاتساق في أسلوب التأديب والانضباط، وعدم وجود الفرص المتاحة لتعلّم المهارات الاجتماعية، وبين المشاكل الاجتماعية والنفسية والدراسية لدى الأطفال والمراهقين.^{(٦)،(٧)،(٨)،(٩)} ويلاحظ عموماً أن البيئة المنزلية المشوشة وانعدام العلاقة ذات اللحمة البنوية في الحياة الأسرية هما اثنتان من عوامل الخطورة الرئيسية المؤدية إلى تعاطي مواد الإدمان.^(٣٣)

علاوة على ذلك، فإن العلاقات بين الوالدين والأبناء والأسر التي تتميز باللامبالاة وعدم الاستجابة الشعورية وانعدام الأمان العاطفي وانعدام الاتساق لدى الوالدين في رعاية الأطفال والحذب عليهم أثناء السنوات المبكرة من نموهم، كلها حالات ترتبط بارتفاع درجة مخاطر الاكتئاب والقلق ومشاكل العلاقات لدى الأطفال والبالغين.^(٣١) وقد ربط أيضاً ما بين الاكتئاب في مرحلة الطفولة وتعاطي المخدرات في بداية مرحلة المراهقة.^(٣٢)

M. Rutter, "Resilience concepts and findings: implications for family therapy", *Journal of Family Therapy*, ^(٢٤) vol. 21, No. 2 (1999), pp. 119-144.

M. T. Stephenson and D. W. Helme, "Authoritative parenting and sensation seeking as predictors of adolescent cigarette and marijuana use", *Journal of Drug Education*, vol. 36, No. 3 (2006), pp. 247-270.

M. T. Stephenson and others, "Authoritative parenting and drug-prevention practices: implications for antidrug ads for parents", *Health Communication*, vol. 17, No. 3 (2005), pp. 301-321.

A. S. Masten and M. Reed, "Resilience in development", *Handbook of Positive Psychology*, C. R. Snyder ^(٢٧) and S. J. Lopez, eds. (New York, Oxford University Press, 2005), pp. 74-88.

F. Walsh, "Family resilience: a framework for clinical practice", *Family Process*, vol. 42, No. 1 (2003), ^(٢٨) pp. 1-18.

F. Walsh, *Strengthening Family Resilience*, 2nd ed. (New York, Guilford Press, 2006). ^(٢٩)

D. H. Olson and D. M. Gorall, "Circumplex model of marital and family systems", *Normal Family Processes: Growing Diversity and Complexity*, 3rd ed., F. Walsh, ed. (New York, Guilford Press, 2003), pp. 514-547. ^(٣٠)

L. Porter and B. Porter, "A blended infant massage-parenting enhancement program for recovering substance-abusing mothers", *Pediatric Nursing*, vol. 30, 2004, pp. 363-401. ^(٣١)

Shoshana Berenson and others, "Los factores relacionados con el uso y el abuso de sustancias psicoactivas en estudiantes de enseñanza media y media superior de la República Mexicana", *Salud Mental*, vol. 19, Suppl. 1 (1996), pp. 44-52. ^(٣٢)

كما إن هذه العوامل كثيرا ما تميز الأسر التي يكون فيها الوالدان من متعاطي مواد الإدمان، حيث من المرجح أن تكون العلاقات الأسرية مضطربة، وخصوصا إذا ما كانت الأم مدمنة.^(٣٣) ذلك أنه عندما يتعاطى الأبوان مواد الإدمان، تزداد احتمالات تعرض الأطفال للمنازعات وحالات العنف المتكررة داخل الأسرة، بما في ذلك الإساءات البدنية والشفوية، وكذلك تعرضهم للكحول والمخدرات. وهذا علاوة على أن الأسر التي لديها مشاكل إدمان تنزع غالبا إلى العزلة الاجتماعية من أجل اتقاء الانكشاف والازدراء الاجتماعي والإجراءات الجنائية. ومن الآثار الجانبية لذلك أن الأبناء يصبحون هم أيضا معزولين ويتضاءل لديهم نمو الميول الاجتماعية في العلاقات.^(٣٤)

ويستنتج في الختام أن الأبحاث^{(٦)،(٧)،(٨)،(٩)،(١٠)،(١١)} تبين أن العوامل الرئيسية، في الأسرة، التي تجعل الأطفال والشباب رهن مخاطر تعاطي مواد الإدمان هي العوامل نفسها التي تجعل الشباب رهن مخاطر أنماط أخرى من السلوك المسبب للمشاكل؛ ومن ثم فإن الجهود التي ترمي إلى الوقاية من تعاطي مواد الإدمان سوف تؤثر آثاراً نافعة أيضا في الوقاية من أنماط السلوك الأخرى المحفوفة بالمخاطر. أما العوامل الرئيسية في الأسرة، التي تجعل الأطفال والشباب رهن مخاطر تعاطي مواد الإدمان فهي:

- (أ) انعدام الرابطة الأسرية وفقدان الأمان في العلاقة بالوالدين؛
- (ب) عدم وجود علاقة ذات دلالة خاصة بشخص بالغ يبدي اهتمامه بهم؛
- (ج) التربية الوالدية غير المجدية؛
- (د) البيئة المنزلية المضطربة؛
- (هـ) كون الوالدين أو الأخوة أو الأخوات الذين يتعاطون مواد الإدمان يعانون مرضا عقليا أو ضالعين في سلوك إجرامي؛
- (و) العزلة الاجتماعية.

تعريف برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية

ما هي برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية؟ إن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية تهدف عموما إلى تعزيز العوامل الوقائية الأسرية التي ذكرت أعلاه. وعلى سبيل المثال، قد تشمل هذه البرامج تمارين عملية من أجل زيادة مهارات التواصل وتنمية الثقة وحل المشاكل وتسوية المنازعات، أو قد تشمل إتاحة الفرص للوالدين وأبنائهما لكي يقضوا وقتا إيجابيا معا، كوسيلة لتعزيز الروابط والمودة بين الوالدين وأبنائهما. وبغية العناية بما يقابل عوامل الوقاية وعوامل الخطورة المبينة أعلاه، قد تتضمن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية بصفة عامة خططا عامة (استراتيجيات) تهدف إلى زيادة ما يلي:

- (أ) العلاقات الأسرية الإيجابية؛
- (ب) الإشراف والرقابة ضمن الأسرة؛
- (ج) نقل القيم والتوقعات الأسرية المنشودة.^{(١٥)،(٣٥)}

L. A. Bennett and others, "Couples at risk for transmission of alcoholism: protective influences", *Family Process*, vol. 26, No. 1 (1987), pp. 111-129.

S. Luthar and others, "Multiple jeopardy: risk and protective factors among addicted mothers' offspring", *Development and Psychopathology*, vol. 10, No. 1 (1998), pp. 117-136.

T. K. Taylor and A. Biglan, "Behavioral family interventions for improving child-rearing: a review of the literature for clinicians and policy makers", *Clinical Child and Family Psychology Review*, vol. 1, No. 1 (1998), pp. 41-60.

وهذه الاستراتيجيات تُصنّف في مجموعات وتُعرضُ عموماً في ثلاث جلسات تدريبية فرعية ضمن جلسة مداخلية تدريبية رئيسية معينة: فتجمع برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية عموماً بين ما يلي: (أ) تدريب الوالدين على تعزيز مهاراتهم التربوية؛ و(ب) تدريب الأبناء على المهارات الشخصية والاجتماعية؛ و(ج) جلسات ممارسة عملية أسرية. ومن ثم فإن أي جلسة تدريبية سوف تشهد حضور الآباء والأمهات والأبناء جلسات المجموعات التدريبية المخصصة لهم، ثم في نهايتها يلتقي الأبناء والأبناء معاً كأسرة بأجمعها خلال بعض الأوقات المخصصة للممارسة العملية.^{(٣٦)، (٣٧)، (٣٨)، (٣٩)} وهذه المداخلات التدريبية تُقدّم عموماً إلى مجموعات من الأسر، وتتيح المجال لأوقات مخصصة للممارسة العملية ضمن كل من الأسر بمفردها. ويستخدم بعض البرامج الوسائل التكنولوجية (التعلم بواسطة الحاسوب والهاتف) كأداة في المداخلات التدريبية، وبخاصة من أجل تنفيذ هذه الأنشطة على المستوى الشامل وكذلك من أجل الأسر التي تعيش في مواضع نائية.

وقد استنتج استعراض أبحاث^(٤٠) جرى مؤخراً أن أنجح برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية يشتمل على انهماك الوالدين بنشاط في التدريب، ويركز على تنمية مهارات المراهقين الاجتماعية وتنمية الإحساس بالمسؤولية لدى الأطفال والمراهقين، ويتطرق بعناية إلى المسائل ذات الصلة بتعاطي مواد الإدمان. كما تُعنى أنشطة التدخل التدريبية الفعالة أيضاً بإشراك الشباب في الأنشطة الأسرية وتعزيز الروابط الأسرية.

لكن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية تختلف عن برامج تثقيف الآباء والأمهات، والتي تركز على تزويد الأبوين بالمعلومات عن اللجوء إلى تناول مواد الإدمان، في حال عدم وجود تدريب على المهارات من أجل الأبوين والأبناء. كما إن برامج تثقيف الآباء والأمهات كثيراً ما تكون أقصر مدّة (أقل من ثماني ساعات في مجموعها)، في حين أن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية تتكون نظماً في أدنى حد من أربع إلى ثماني جلسات، تتراوح مدة كل منها بين ساعتين وثلاث ساعات بالنسبة إلى البرامج الشاملة. علاوة على ذلك، فإنه لم يتبين أن برامج تثقيف الآباء والأمهات ذات فعالية بقدر فعالية برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية.^{(٤١)، (٤٢)، (٤٣)، (٤٤)}

وقد استُخدمت برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية في المقام الرئيسي لأغراض الوقاية على المستويين الشامل والانتقائي. أما الوقاية الشاملة فتستهدف عموم السكان من خلال المدارس أو الأحياء المتجاورة أو الجماعات المحلية أو الولايات أو المقاطعات بأجمعها، من دون أي اعتبار محدد فيما يتصل بمستوى المخاطر الحالي. وتتشارك هذه النهج المتبعة في الافتراض القائل بأن كل شخص تقريباً يمكنه أن يستفيد من جهود وقائية ذات توجه نحو الارتقاء بالصحة.

K. L. Kumpfer, V. Molgaard and R. Spoth, "The Strengthening Families Program for the prevention of^(٣٦) delinquency and drug use", *Preventing Childhood Disorders, Substance Abuse, and Delinquency*, R. DeV. Peters and R. J. McMahon, eds. (Thousand Oaks, California, Sage Publications, 1996).

A. Melo, "Em Busca do Tesouro das Famílias: Intervenção Familiar em Prevenção Primária das Toxicode-^(٣٧) pendências" (Discovering the treasure of family: family-based approach in drug abuse prevention) Viana do Castelo, Portugal, Gabinete de Atendimento à Família, 2004.

A. Melo and A. Simões, "A local evaluation of Searching Family Treasure program for substance abuse^(٣٨) prevention", manuscript submitted to publication, 2007.

A. Abbey and others, "Evaluation of a family-based substance abuse prevention program targeted for the^(٣٩) middle school years", *Journal of Drug Education*, vol. 30, No. 2 (2000), pp. 213-228.

J. Petrie, F. Bunn and G. Byrne, "Parenting programmes for preventing tobacco, alcohol or drugs misuse^(٤٠) in children < 18: a systematic review", *Health Education Research*, vol. 22, No. 2 (2007), pp. 177-191.

N. S. Tobler and others, "School-based adolescent drug prevention programs: 1998 meta-analysis", *Jour-^(٤١) nal of Primary Prevention*, vol. 20, No. 4 (2000), pp. 275-336.

N. S. Tobler, "Lessons learned", *Journal of Primary Prevention*, vol. 20, No. 4 (2000), pp. 261-274.^(٤٢)

United States of America, Department of Health and Human Services Administration, Center for Substance^(٤٣) Abuse Prevention, *Preventing Substance Abuse Among Children and Adolescents: Family-centered approaches; Reference Guide*, Prevention Enhancement Protocols System series, DHHS publication No. (SMA) 3223-FY98 (Washington, D.C., Superintendent of Documents, United States Government Printing Office, 1998).

K. L. Kumpfer and R. Alvarado, "Family strengthening approaches for the prevention of youth problem^(٤٤) behaviors", *American Psychologist*, vol. 58, Nos. 6-7 (2003), pp. 457-465.

وأما النهج الوقائية الانتقائية فتستهدف الفئات التي هي أشدّ عرضة لمخاطر تعاطي مواد الإدمان. وهذا يعني أن هذه الفئات قد أظهرت الاستقصاءات أو الأبحاث العلمية الوبائية عنها أن معدلات تعاطي مواد الإدمان مرتفعة فيها أكثر من غيرها (ومن هنا على سبيل المثال أبناء متعاطي هذه المواد أو أبناء نزلاء السجون، أو الأسر التي تعيش في فقر، أو الأطفال المساء معاملتهم أو المهمّلون، أو الأسر التي تعاني أزمة طلاق، أو أبناء الوالدين المنفصلين). وتسلّم الوقاية الانتقائية بأنه مع أي فئة فرعية من عموم السكان قد تبدو أنها أشدّ عرضة من غيرها لمخاطر تعاطي مواد الإدمان، فإن فرادى الأطفال والأسر ضمن تلك الفئة الفرعية قد لا يكونون معرضين للمخاطر بالدرجة المرتفعة نفسها، لأنهم قد يكونون محميين بفضل عوامل فردية أو عوامل أخرى في القابلية للتكيف والتعافي أو غيرها من عوامل الحماية. غير أن البرامج الوقائية الانتقائية تتشارك في الفلسفة القائلة بأنه يمكن، بل ينبغي، تصميم البرامج بحسب مستوى المخاطر الأعلى لدى فئات السكان المستهدفة.^(٤٥)

وقد ركّز هذا الدليل الإرشادي على برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، على المستويين الشامل والانتقائي، وكذلك على البرامج المحددة المستوى التي تعدّ جزءاً من البرامج المتدرّجة المستويات. علماً بأن معظم برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية قد وضع وصمّم من أجل الوقاية على المستوى الشامل أو على المستوى الانتقائي، ومعظم أدلة إثبات الفعالية الموجودة هو بخصوص هذين المستويين من الوقاية من المخاطر. وهذا لا يعني القول بأنه لا توجد أدلة إثبات بشأن فائدة استخدام برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية على مستوى محدّد من الوقاية من المخاطر.^{(٤٦)،(٤٧)،(٤٨)،(٤٩)}

أما برامج الوقاية المحددة فتستهدف الأفراد من الشباب وأسرههم، الذين تم على نحو إفرادي فرزههم أو إحالتهم أو تشخيصهم بأنهم أفراد تحيط بهم عوامل أثبتت الأدلة ارتباطها بوجود احتمالات عالية الدرجة قد تؤدي إلى ظهور نتائج سلبية في معالجة حالتهم، مثل تعاطي مواد الإدمان في مرحلة لاحقة.^{(٥٠)،(٥١)} وفي أكثر الأحيان، يُظهر هؤلاء الأفراد سلوكاً عدائياً ومضطرباً في مرحلة مبكرة من عمرهم، ولذلك فإن مشاكل السلوك المبكرة قد تشكل هدفاً مهماً للوقاية من تعاطي مواد الإدمان في مرحلة مبكرة بالاستفادة من برامج المساعدة في التربية الوالدية أو برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية أيضاً.

وأما البرامج المتدرّجة المستويات فتقدم إلى الشباب أو إلى الآباء والأمهات خدمات محددة بحسب احتياجاتهم المعيّنة،^(٥٢) وتُعنى في وقت واحد مع مستويات المخاطر المختلفة (أي المستوى الشامل والانتقائي والمحدد)، تبعاً لاختلاف المشاكل الفردية والأسرية. ومع أنه لم يتم تصميم واختبار^(٥٣) إلا عدد قليل من البرامج من هذا النوع، فقد تبين أن تلك البرامج التي جرى تقييمها آتت نتائج جيدة. وفي الأحوال النمطية، تتيح البرامج المتدرّجة المستويات الاضطلاع بأنشطة وقاية على المستوى الشامل تستهدف مجموع السكان أو المجتمع المحلي كلّ في أطر مختلفة: وسائط الإعلام الجماهيري، والأنشطة التي يقودها المعلمون لصالح الشباب في

M. E. Medina-Mora, "Prevention of substance abuse: a brief overview", *World Psychiatry*, vol. 4, No. 1 (2005), pp. 25-30.

M. R. Sanders and others, "The Triple P-Positive Parenting Program: a comparison of enhanced, standard, and self-directed behavioral family intervention for parents of children with early onset conduct problems", *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, vol. 68, No. 4 (2000), pp. 624-640.

S. Scott and others, "Multicentre controlled trial of parenting groups for childhood antisocial behavior in clinical practice", *British Medical Journal*, vol. 323, No. 7306 (2001), pp. 194-203.

C. Webster-Stratton and M. Hammond, "Treating children with early-onset conduct problems: a comparison of child and parent training interventions", *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, vol. 65, No. 1 (1997), pp. 93-109.

European Monitoring Centre for Drugs and Drug Addiction, "Preventing later substance abuse disorders in identified individuals during childhood and adolescence: review and analyses of international literature on the theory and evidence base of indicated prevention" (Lisbon, 2008).

M. R. Sanders, "Triple P-Positive Parenting Program: towards an empirically validated multilevel parenting and family support strategy for the prevention of behavior and emotional problems in children", *Clinical Child and Family Psychology Review*, vol. 2, No. 2 (1999), pp. 71-90.

R. P. Weissberg and M. T. Greenberg, "School and community competence-enhancement and prevention programs", *Handbook of Child Psychology: Child Psychology in Practice*, 5th ed., W. Damon, I. E. Sigel and K. A. Renninger, eds. (New York, John Wiley and Sons, 1998), vol. IV, pp. 877-954.

المدارس، والصفوف الدراسية المخصصة للآباء والأمهات. كما يمكن أن تُتاح للشباب والأسر، المعرضين لدرجة عالية من المخاطر، المشاركين في هذه الأنشطة، زيارات منزلية أو برامج للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية مكثفة بقدر أكبر، في الوقت نفسه. وبهذه الطريقة، فإنه في حين يكون المجتمع المحلي كله مشمولاً بالبرنامج المعني بالوقاية، يتم الوصول كذلك إلى الشباب والأسر الذين هم بصفة خاصة عرضة للمخاطر، وذلك من خلال اتباع نهج تدخل مصممة بعناية أكبر بالجوانب الفردية على نحو قد يكون أقل إثارة لشبهة الوصمة الاجتماعية من "برنامج للأسر المحتاجة إلى المساعدة".^{(٥١)،(٥٢)}

وأخيراً، فإن برنامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية قد يشكّل جزءاً من برنامج وقاية متعدد المكونات، وقد يسهم في الواقع بقدر كبير في فعالية برنامج من هذا النوع. وتشمل البرامج المتعددة المكونات أنشطة وقاية موجهة لقطاعات متعددة من المجتمعات المحلية. مثل الأنشطة التي يقودها المعلمون في المدارس، والأنشطة البديلة المخصصة للشباب التي تنظم في المراكز المجتمعية، وأنشطة التوعية التي تشارك فيها وسائل الإعلام الجماهيري، وأنشطة التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، وهلمّ جراً.^{(٥٣)،(٥٤)} ومن الأمور الرئيسية التي تشدّد عليها البرامج المتعددة المكونات تدعيم تطوير المعلومات والمهارات بتنفيذ أنشطة تعنى بتدعيمها على نحو متسق عبر القطاعات المتعددة، وبذلك تساعد على إنشاء معايير مسلكية إيجابية في المجتمع المحلي بشأن تعاطي مواد الإدمان.

فعالية برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية

برهنت برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية عن فعاليتها الشديدة في الوقاية من تعاطي مواد الإدمان وغيره من أنماط السلوك المحفوفة بالمخاطر. ولا غرابة في ذلك، لأن هذه البرامج تؤدي عملها من خلال تعزيز العوامل الوقائية القوية، وبذلك تقلّل من احتمالات التعرّض للمخاطر.

وعند المقارنة بين برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية وغيرها من نهج الوقاية، تبين أنها تأتي في المرتبة الثانية من أكثر النهج فعالية بعد المساندة الأسرية داخل المنزل، وأن فعاليتها أكثر بخمسة عشر ضعفاً تقريباً من فعالية البرامج التي لا تزود الشباب سوى بالمعلومات والدعوة إلى احترام الذات، وأكثر فعالية بثلاثة أضعاف تقريباً من فعالية برامج التدريب على المهارات الحياتية والاجتماعية.^{(٥٥)،(٥٦)،(٥٧)}

علاوة على ذلك، وجد استعراض لبرامج تهدف إلى الوقاية من تعاطي الكحول أنه في حين يبدو أن النتائج الإيجابية التي تتأتى عن برامج تعليم المهارات الحياتية وبرامج الوقاية القائمة على المجتمعات المحلية تتناقص على مدى السنين، فإن تأثير برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية يترسّخ دوماً على مر الزمن.^{(٥٨)،(٥٩)،(٦٠)،(٦١)} وعلى سبيل المثال، تبين أن أفضل برنامج للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية كان يشتمل على عدد معين من الأشخاص بلغ تسعة ممن كان ينبغي معالجتهم وذلك عند متابعتهم بعد فترة أربع سنوات. وهذا يعني أن مقابل تسع أسر كان من اللازم أن تشارك في البرنامج ينقص واحد من

D. R. Foxcroft and others, "Longer-term primary prevention for alcohol misuse in young people: a systematic review", *Addiction*, vol. 98, No. 4 (2003), pp. 397-411.

F. Faggiano and others, "School-based prevention for illicit drugs' use", *Cochrane Database of Systematic Reviews* (online), No. 2, 2005.

D. R. Foxcroft and others, "Primary prevention for alcohol misuse in young people", *Cochrane Database of Systematic Reviews* (online), No. 3, 2002.

D. R. Foxcroft, *Alcohol Misuse Prevention for Young People: A Rapid Review of Recent Evidence* (Geneva, World Health Organization, 2006).

S. Gates and others, "Interventions for prevention of drug use by young people delivered in non-school settings", *Cochrane Database of Systematic Reviews* (online), No. 1, 2006.

عدد الشباب الذين أبلغوا عن تناولهم الكحول بعد أربع سنوات من عملية التدخّل.^(٥٣) ومقارنة بذلك، أبلغ استعراض جرى مؤخرا أن أفضل برنامج لتعليم المهارات الحياتية كان من اللازم أن يشارك فيه أكثر من ٣٠ شابا مقابل ازدياد واحد فقط في عدد الشباب الذين كان ينبغي منعهم عن تناول مواد الإدمان بعد سنة واحدة.^(٥٣)

والنتائج الطويلة المدى المتأتمية عن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية تظهر، لدى الأبناء، تأخر مرحلة البدء بتعاطي مواد الإدمان، وتحسن مقاومة الشباب للضغط عليهم من قبل أترابهم بتناول الكحول، وتساؤل الانضمام إلى جماعات الأتراب المناوئين للمجتمع، وتحسن المهارة على حل المشاكل، وانخفاض مستويات أنماط السلوك المثيرة للمشاكل، كالجناح مثلا. وأما لدى الآباء والأمهات، فتشمل النتائج الإيجابية المحققة ظهور تحسن مستديم في مهارات تدبير شؤون الأسرة والأبناء (تحديد المعايير، ومراقبة السلوك، والاتساق في أساليب التأديب والانضباط).^(٣٣) والواقع أن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية قد تصبح أكثر فعالية بمرور الزمن، مقارنة ببرامج التدريب على المهارات الخاصة بالشباب فقط، لأن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية تشمل تدريب الآباء والأمهات كذلك، ولهذا فقد تغيرت هذه البرامج البيئية الأسرية على نحو دائم.

وأخيرا، فقد تبين، في دراسات لغرض المتابعة على المدى الطويل، أن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية فعالة من حيث تكلفتها. وفي عملية حسابية استنتج تقدير معتدل بأنه يمكن ادخار تسعة دولارات مقابل كل دولار يُنفق على هذه البرامج.^{(٢٣)،(٥٧)}

كما تبين أن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، الشاملة منها والانتقائية، فعالة أيضا حين تكون جزءا من برامج متعددة المكونات. فعلى سبيل المثال، تؤدي إضافة التدخلات التي تركز على الأسرة إلى التدخلات القائمة على المجتمع المحلي^{(٥٨)،(٥٩)} أو التدخلات القائمة على المدارس^(٦٠) إلى زيادة الفعالية الإجمالية التي يحققها برنامج ما، حيث يعنى من خلال ذلك بمزيد من عوامل الخطورة وعوامل الحماية في الوقت نفسه. ونظرت إحدى الدراسات إلى مسألة الحد من البدء بتعاطي مواد الإدمان بعد سنة واحدة من تطبيق البرنامج، وتبينت أنه في حين أن البرنامج المخصص للشباب فقط يساعد على الحد من السلوك البادئ في التعاطي بنسبة قدرها ٤ في المائة، فإن النتائج في الحد من السلوك البادئ في التعاطي قفزت إلى ٣٠ في المائة عندما أضيف برنامج أسري إلى ذلك البرنامج نفسه.^(٥٧) كما إن البرامج المتدرجة المستويات توفر أيضا سبلا ممكنة أكثر للأسر للانضمام إلى البرنامج وتلقي الخدمات المناسبة، وكذلك تتيح تحسين التنسيق فيما بين الاختصاصيين الاجتماعيين العاملين فيه والآباء والأمهات المشاركين فيه. وما هو أهم من ذلك أن التغييرات

R. L. Spoth and others, "Longitudinal substance initiation outcomes for a universal preventive intervention combining family and school programs", *Psychology of Addictive Behaviors*, vol. 16, No. 2 (2002), pp. 129-134.

Charles M. Borduin and others, "Multisystemic treatment of serious juvenile offenders: long-term prevention of criminality and violence", *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, vol. 63, No. 4 (1995), pp. 569-578.

M. A. Pentz, "Prevention research in multiethnic communities: developing community support and collaboration, and adapting research methods", *Drug Abuse Prevention with Multiethnic Youth*, G. J. Botvin, S. P. Schinke and M. A. Orlandi, eds. (Thousand Oaks, California, Sage Publications, 1995), pp. 193-214.

C. Webster-Stratton and T. Taylor, "Nipping early risk factors in the bud: preventing substance abuse, delinquency, and violence in adolescence through interventions targeted at young children (0-8 years)", *Prevention Science*, vol. 2, No. 3 (2001), pp. 165-192.

الإيجابية في البيئة الاجتماعية بفضل أنشطة الوقاية الشاملة يبدو أنها تدعم التغييرات الإيجابية لدى الشباب المعرضين للمخاطر وأسرتهم، ممن يتلقون المساعدة في إطار مكونات على المستوى المحدد أو الانتقائي من البرنامج. وكذلك فإن الوصمة التي تُعزى إلى المشاركة في البرنامج (وبخاصة في حالة الأسر المعرضة لمخاطر شديدة) تكون أقل وطأة، لأن كل شخص في المجتمع المحلي يكون معرضاً لسمة البرنامج بالقدر نفسه على المستوى الشامل من خلال وسائل الإعلام والمدرسة وغير ذلك.^{(٦١)،(٦٢)،(٦٣)،(٦٤)،(٦٥)}

Conduct Problems Prevention Research Group, "Merging universal and indicated prevention programs: the^(٦١) Fast Track model", *Addictive Behaviors*, vol. 25, No. 6 (2000), pp. 913-927.

T. J. Dishion and K. Kavanagh, "An ecological approach to family intervention for adolescent substance^(٦٢) use", *Prevention of Antisocial Behavior: Starting at (Pre-) Conception?* W. De Mey and others, eds. (Brussels, University of Ghent, 2000), pp. 137-154.

K. L. Kumpfer and others, "Effectiveness of school-based family and children's skills training for substance^(٦٣) prevention among 6-8 year old rural children", *Psychology of Addictive Behaviors*, vol. 16, No. 4 (2002), pp. S65-S71.

M. R. Sanders, "Community-based parenting and family support interventions and the prevention of drug^(٦٤) abuse", *Addictive Behaviors*, vol. 25, No. 6 (2000), pp. 929-942.

R. E. Tremblay and others, "A bimodal preventive intervention for disruptive kindergarten boys: its^(٦٥) impact through mid-adolescence", *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, vol. 63, No. 4 (1995), pp. 560-568.

ثالثاً - مبادئ البرنامج الجيد للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية

يؤمل أن تكون قراءة الفصل الثاني قد أتاحت للقارئ تقدير أهمية برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية وفعاليتها. أما هذا الفصل فهو مخصص لمناقشة حول المبادئ التي ينبغي أن تشكل الأساس الذي يستند إليه أي برنامج للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية لكي يكون قائماً على الأدلة التي تثبت صلاحيته ولكي يكون فعالاً.

وقد حُددَ اثنا عشر مبدأً، بالاستناد إلى الأبحاث الأكاديمية وإلى مجموع خبرة المشاركين في اجتماع المشاورة التقنية حول برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، الذي نظمه مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة في عام ٢٠٠٧. ويُعرض كل مبدأ منها مشفوعاً بتقديم وصف موجز لأدلة الإثبات التي يستند إليها و/أو بتعريف معناه في سياق تنفيذ برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية.

المبدأ ١

ينبغي أن يستند برنامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية إلى أساس نظري

هنالك نوعان من الأسس النظرية التي ينبغي أن يقوم عليها أي برنامج يسعى إلى الوقاية من السلوك المثير للمشاكل (الإشكالي): أحدهما يعني بالأسباب الرئيسية لأنماط السلوك المثير للمشاكل، والآخر ينظر في كيفية تغيير ذلك السلوك.

أما في حالة الوقاية من تعاطي مواد الإدمان، فإن هذا يعني أن برنامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية ينبغي أن يستند إلى خلفية نظرية، أي نظرية عما هي أسباب تعاطي مواد الإدمان، التي من شأن البرنامج أن يُعنى بها، ونظرية في تبيان السبب الذي من شأنه أن يجعل التدخلات المقترحة فعالة في العناية بها. علماً بأن أي نظرية من هذا النحو ينبغي أن تكون قائمة على أدلة تثبت صحتها، أي أن تكون مدعومة بنتائج أبحاث علمية في هذا الميدان. وإن كل البرامج التي تم تقييمها على نطاق واسع وتبين أنها فعالة في هذا الخصوص كانت قد بوشرت بناء على أساس نظري راسخ. ولذلك فإن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، القائمة على الأدلة المثبتة لفعاليتها إنما تستند نمطياً إلى نظرية راسخة وإلى نموذج مستمد من تلك النظرية، يتضمن العمليات والأليات التي سوف تستخدم في التقليل من المخاطر وبناء أسس الوقاية، حسبما وردت مناقشته في الفصل الثاني.

إن من الضروري معرفة السبب الذي يؤدي إلى السلوك الإشكالي، ويجب أيضاً على أي برنامج أن يقدم أساساً منطقياً يبين بناء عليه كيف سيعمل على تغيير أنماط السلوك الإشكالية ويعزز أنماط السلوك المناسبة. وهذا يسمى أحياناً "نظرية التغيير"؛ وإن نظريات التغيير ذات المصدقية تستند إلى أدلة تثبت فعاليتها مستمدة من أبحاث سابقة عن أنواع مختلفة من التدخلات بشأن أنماط شتى من السلوك المثير للمشاكل، وكذلك عن عوامل الخطورة/الحماية.^(١٦) وحسبما نوقش في الفصل الثاني، فإن برامج التدريب على اكتساب

B. Flay and J. Petraitis, "Bridging the gap between substance use prevention: theory and practice",^(١٦) *Handbook of Drug Abuse Prevention: Theory, Science and Practice*, Zili Sloboda and William J. Bukowski, eds. (New York, Kluwer Academic/Plenum Publishers, 2003).

المهارات الأسرية لا تسعى إلى تغيير معرفة الآباء والأمهات والشباب ومواقفهم تجاه تعاطي مواد الإدمان فحسب؛ بل إن الهدف الهام الذي ترمي إليه أيضا هو تغيير أنماط السلوك الفعلية لدى الأطفال التي تزيد من مخاطر تعاطي مواد الإدمان لديهم (العدوانية، الإخفاق في المدرسة، تناول مواد الإدمان على سبيل التجريب، وهلم جرا). وتدلل الأبحاث على أن تحقيق ذلك إنما يستلزم إحداث تغييرات في أسلوب التربية الوالدية وفي العوامل المحركة للتصرفات في الأسرة على حد سواء،^(١٧) وهذا هو السبب الذي يفسر لماذا تنظم بنية جلسات برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية بحيث تشتمل على ثلاث جلسات فرعية: مجموعات الآباء والأمهات ومجموعات الأبناء والمجموعات الأسرية.

المبدأ ٢

ينبغي أن يستند برنامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية إلى تقدير للاحتياجات

عند اختيار برنامج للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية، من المهم أن يكون البرنامج متوافقا مع الاحتياجات والخصائص (أي على سبيل المثال، أعمار الأبناء) لدى الفئة السكانية المستهدفة (انظر المبدأين ٣ و ٤). وينبغي أيضا أن يكون التخطيط للبرنامج وانتقاؤه وتنفيذه من خلال النظر بعين الاعتبار إلى الموارد المتاحة.

وبصرف النظر عما إذا كان البرنامج سوف يُنفذ في مجتمع محلي أو على المستوى الوطني، لا بد من الاضطلاع بتقدير للاحتياجات، وذلك لكي يكون الاختيار قائما على فهم دقيق للأوضاع. ويمكن أن تُستخدم في عملية تقدير الاحتياجات عدة منهجيات متنوعة (استقصاءات في أوساط الشباب والآباء والأمهات والأسر، مقابلات مع مقدمي المعلومات الرئيسيين، التركيز على مجموعات معينة، وغير ذلك)، لأجل استبانة خصائص الفئة السكانية المستهدفة، وكذلك خصائص مشكلة تعاطي مواد الإدمان، وخصوصا لأجل تحديد عوامل الخطورة وعوامل الحماية ذات الصلة بالأسرة.

كما ينبغي أن تكون عملية تقدير الاحتياجات نظامية في تدرجها، ولكن ليس من اللازم أن تكون معقدة أو عسيرة في مسارها. غير أنه كلما اتسع نطاق البرنامج، ازدادت أهمية الاضطلاع بعملية تقدير الاحتياجات باتباع نهج نظامي أو صارم من حيث الدقة، وربما بإشراك مؤسسة أبحاث في العملية.

المبدأ ٣

ينبغي أن يكون برنامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية متوافقا مع مستوى المخاطر لدى الفئة السكانية المستهدفة

حتى عندما يكون لأي برنامج أدلة جيدة تثبت فعاليته، فإنه لن يكون بالضرورة فعّالا بخصوص فئة سكانية تختلف من نواحي بيئته عن الفئة السكانية التي صُمم أصلا لأجلها واختبر فيها. وهذا يشمل مستوى المخاطر لدى الفئة السكانية المستهدفة. ومن ثم ينبغي أن يكون هنالك "تناسب" جيد بين الأسر والبرنامج.

وحسبما نوقش أعلاه، فإن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية إنما تُعدّ من أجل جميع الأسر وتُستخدم بالتعاون معها، بصرف النظر عما إذا كانت عرضة للمخاطر أم لم تكن (البرامج الشاملة)، وكذلك مع الأسر المعينة بأنها عرضة للمخاطر بسبب وجود بعض المخاطر أو المشاكل لديها (البرامج الانتقائية).

A. J. Sameroff and B. H. Fiese, "Transactional regulation and early intervention", *Handbook of Early Childhood Intervention*, 1st ed., S. J. Meisels and J. P. Shonkoff, eds. (New York, Cambridge University Press, 1990), pp. 119-149.

كما إن أنشطة البرامج الشاملة والانتقائية والمحددة تختلف فيما بينها. فعلى سبيل المثال، بالنسبة إلى حالة الأسر التي لديها مستوى من المخاطر أو المشاكل أعلى من غيرها (البرامج الانتقائية)، فإن التدخلات في مرحلة مبكرة من دورة عمر الأطفال (أي ما قبل الولادة أو في مرحلة مبكرة من الطفولة) تكون أكثر فعالية.^(٥٨) ولذلك فإن من الأمور الحاسمة اتخاذ القرار، بناء على تقدير الاحتياجات، بشأن ما إذا كان ينبغي استهداف جميع الأسر أو استهداف الأسر التي هي عرضة للمخاطر فحسب، وكذلك اتخاذ القرار، في هذه الحالة الأخيرة، بشأن مستوى المخاطر ونوعها، وذلك من قبل اختيار برنامج يتوافق مع احتياجاتها. وأما بالنسبة إلى البرامج المتدرجة المستويات، التي تتيح خدمات متوازنة على جميع المستويات، فيمكن أن تتاح فيها الخدمات أيضا إلى الأسر المعرضة بدرجة عالية للمخاطر وكذلك لعوامل محددة أو مشخصة (البرامج المحددة). ومن المهم التنبيه إلى أن من اللازم أن تكون الأسر نفسها مشاركة في عملية تقدير احتياجاتها، إذ لا ينبغي أن يقتصر القيام بذلك التقدير على موظفي البرنامج أو غيرهم من الاختصاصيين و/أو مقدمي الخدمات.

المبدأ ٤

ينبغي أن يكون برنامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية متوافقا مع عمر الأبناء في الفئة السكانية المستهدفة ومستوى نموهم

ينبغي أن تكون برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية مناسبة لعمر الأبناء المعينين ومستوى نموهم. وتبعاً لاختلاف مراحل نضج الأبناء، تحتاج الأسر إلى الانضمام إلى برامج مختلفة أو إلى صيغ مختلفة من البرنامج نفسه الذي يستهدف الأبناء في مرحلة عمرية مختلفة.^(٦٨)

فالبرامج الفعالة بالنسبة إلى الأسر التي لديها أطفال صغار السن (٣-١٢ سنة من العمر) تشمل البرامج التي تجمع الآباء والأمهات والأطفال معا في جلسات تدريب على اكتساب المهارات تكون تفاعلية ومنظمة في بُنى معينة، وكذلك البرامج التي تعمل مع مجموعات من الآباء والأمهات فقط، لكي يتعلموا مهارات جديدة ويتناقشوا حولها ويطبّقوها بحسب الاحتياجات الخاصة بأسرهم.^{(١٩)، (٤٥)، (٦٩)} وتركّز أيضا البرامج الفعالة على مهارات التربية الوالدية التي تكون أشد فعالية مع الأطفال الصغار.^(٤٣) وحينما يصبح الأطفال أكبر سناً، تكون البرامج التي تعتبر أكثر فعالية بشأنهم محتوية على جلسات منفصلة للآباء والأمهات وللأبناء، وكذلك على جلسات أسرية مشتركة. ويعلم الأبناء الذين هم أكبر سناً المهارات اللازمة لاتخاذ القرارات والمراقبة سلوكهم وتغييره هم أنفسهم، في حين تشمل الجلسات المخصصة للآباء والأمهات على المهارات اللازمة لممارسة أساليب التربية الوالدية ومراقبة السلوك.

المبدأ ٥

ينبغي أن تكون كثافة برنامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية ومدته وافيتين بالغرض

من المهم للغاية أن توفر برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية عددا كافيا من الجلسات للأسر لكي تُمارس فيها عمليا المهارات المكتسبة، وأن تتيح المجال لتحقيق تغيير في السلوك. غير أن من الصعب تقديم تحديد دقيق لما يُعتبر عددا كافيا من الجلسات، لأن هذا العدد سوف يتباين بحسب اختلاف مستوى المخاطر لدى الأسر في الفئة السكانية المستهدفة.

K. L. Kumpfer and S. Alder, "Dissemination of research-based family interventions for the prevention^(٦٨) of substance abuse", *Handbook of Drug Abuse Prevention: Theory, Science and Practice*, Zili Sloboda and William J. Bukowski, eds. (New York, Kluwer Academic/Plenum Publishers, 2003), pp. 75-100.

C. Webster-Stratton, "Preventing conduct problems in Head Start children: strengthening parenting^(٦٩) competencies", *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, vol. 66, No. 5 (1998), pp. 715-730.

وعموماً، تتضمن البرامج الشاملة للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية ما يتراوح بين أربع وثمانى جلسات، لأن الأسر في الفئات السكانية المستهدفة في هذا النوع من البرامج تتميز بأن عوامل الخطورة لديها أقل من غيرها، ويمكنها أن تحقق تغييراً بسهولة أكثر. وأما البرامج الانتقائية للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية، المخصصة للأسر المعرضة لمخاطر أشد من غيرها فتتضمن نمطاً ما يتراوح بين ١٠ و ١٥ جلسة. إذ كلما ازداد عدد عوامل الخطورة ضمن الأسرة، طالت الفترة الزمنية المحتاج إليها من أجل تنمية الثقة وتغيير أنماط السلوك وتقديم الدعم تلبيةً للاحتياجات الأساسية أو الاحتياجات الاقتصادية-الاجتماعية،^{(٧٠)،(٧١)،(٧٢)} وخصوصاً لأن الأسر المعرضة لمخاطر شديدة كثيراً ما يتكرر تغييرها عن الجلسات، وكثيراً ما يكون لديها صعوبات تحول دون استفادتها من المهارات المتعلمة أثناء الجلسات بتطبيقها في المنزل، مما يؤدي بالضرورة إلى حاجتها إلى مزيد من الجلسات لإعادة عرض المهارات التي سبق عرضها ولزيادة التركيز عليها.^{(٧٣)،(٧٤)} ولكن طول مدة كل جلسة، في إطار البرامج الشاملة والانتقائية على حد سواء، يستغرق ما يتراوح بين ساعتين أو ثلاث ساعات تقريباً.

المبدأ ٦

ينبغي في جلسات برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية استخدام الأنشطة والأساليب التفاعلية، ضمن مجموعات مكونة من ٨ إلى ١٢ أسرة لا أكثر

لا يكفي تقديم المعلومات عن المهارات الأسرية وإجراء مناقشة حولها؛ ومن ثم فإن البرامج التي ثبتت فعاليتها في التدريب على اكتساب المهارات الأسرية تحتاج إلى استخدام أساليب تفاعلية تساعد على إتاحة الفرص للأباء والأمهات والأسر لممارسة المهارات المتعلمة أثناء الجلسات عملياً. كما أن الممارسة العملية المنزلية هي أسلوب آخر لا غنى عنه من الأساليب التفاعلية. وتحققاً لذلك، ينبغي تقليل عدد الأسر التي تحضر كل جلسة إلى أدنى حد. ومع أن من الصعب فرض عدد محدد، فإن عدد الأسر الموصى به في مجموعة واحدة يتراوح بين ٨ أسر و ١٢ أسرة؛ وقد تبين أن المجموعات المكونة من ٥ أسر على الأقل والمجموعات المكونة من ١٤ أسرة على الأكثر كلتيهما فعالة. وهنالك بعض البرامج التي تبين فيها أن المجموعات الصغيرة من الأسر المشاركة في البرنامج توفر مناخاً يتسم بمزيد من التواصل الحميم والمؤازرة، وتتحسن فيه العلاقات بين المشاركين وقادة المجموعات.^(٧٥) كذلك فإن المجموعات الصغيرة قد تكون لها أيضاً ميزة التقليل من العزلة الاجتماعية لدى الأسر، مما يوفر مصدر دعم هاماً. ولكن إذا ما صارت المجموعة أصغر مما ينبغي، فإن الأسر يمكن أن تفقد بعض النفع الذي قد يعود عليها من استخلاص إلماحات مفيدة وتعلم أفكار جيدة بعضها من بعض. وأما الأسر الصغيرة بأكثر مما ينبغي فهي أيضاً لا تتيح سوى إمكانيات قليلة للأسر لتوسيع شبكة الدعم الاجتماعي الخاصة بها، من خلال المشاركة في البرنامج. وهذه هي أيضاً بعض المساوئ التي تنطوي عليها الدروس التثقيفية على التربية الوالدية، التي تقدم بالاستعانة بالحاسوب عبر الشبكة العالمية، وذلك ما لم تدمج في إطار من المناقشات ضمن مجموعات صغيرة.

^(٧٠) United States of America, Department of Health and Human Services Administration, Center for Substance Abuse Prevention, *Signs of Effectiveness in Preventing Alcohol and Other Drug Problems* (Washington, D.C., Superintendent of Documents, United States Government Printing Office, 1993).

^(٧١) A. E. Kazdin and others, "Problem solving skills training and relationship therapy in the treatment of antisocial child behavior", *Journal of Consulting Clinical Psychology*, vol. 55, No. 1 (1987), pp. 76-85.

^(٧٢) A. E. Kazdin, *Conduct Disorders in Childhood and Adolescence*, 2nd ed., *Developmental Clinical Psychology and Psychiatry series*, vol. 9 (Thousand Oaks, California, Sage Publications, 1995).

^(٧٣) K. L. Kumpfer and R. Alvarado, "Strengthening families to prevent drug use in multi-ethnic youth", *Drug Abuse Prevention with Multiethnic Youth*, G. J. Botvin, S. P. Schinke and M. A. Orlandi, eds. (Thousand Oaks, California, Sage Publications, 1995), pp. 253-292.

^(٧٤) J. P. DeMarsh and K. L. Kumpfer, "Family-oriented interventions for the prevention of chemical dependency in children and adolescence", *Journal of Children in Contemporary Society*, vol. 18, Nos. 1-2 (1985), pp. 117-151.

المبدأ ٧

ينبغي لبرامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية أن توفر للآباء والأمهات المهارات والفرص لتعزيز العلاقات الأسرية الإيجابية وكذلك الإشراف والرقابة من جانب الأسرة، وأن تقدم إليهم المساعدة في نقل القيم والتوقعات الأسرية المنشودة

مع أن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية تتفاوت كثيرا فيما بينها، فهي تستند إلى أساس مشترك نسبيا في فهم عوامل الخطورة وعوامل الحماية، ولذلك فهي تشتمل على العديد من الخصائص والمهارات الأساسية. وقد اتفق المشاركون في الاجتماع التشاوري التقني بشأن التدريب على المهارات الأسرية، الذي نظمه مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة في عام ٢٠٠٧، على أن برامج الوقاية القائمة على الأسرة ينبغي لها أن تعنى ببعض المضامين والمهارات الرئيسية على نحو يكون مناسباً من حيث مراحل التنمية. ومن الجائز تناول بعض المضامين من خلال أنشطة مشتركة؛ ولا ينبغي بالضرورة النظر إلى القائمة المعروضة أدناه على أنها قائمة تقابل تخصيص درس واحد لكل موضوع محدد.

مضامين ومهارات للوالدين

تعليم الوالدين حُسن الاستجابة

ينبغي للوالدين أن يتعلّموا المهارات التالية وأن يمارسوها عمليا:

- (أ) كيفية إبداء المحبة والتعاطف على النحو المناسب، كل منهما تجاه الآخر، وتجاه أبنائهما أيضا، وكذلك تجاه الأناش الآخرين؛
- (ب) كيفية توجيه الانتباه الإيجابي إلى الطفل والثناء عليه، بما يتسق مع قيامه بالسلوك المستحسن الذي نُقل إليه بوضوح من قبل (انظر القواعد وتنظيم بناء الأسرة). وهذا يعني أن يقال للآباء، من حين لآخر في اللحظات المناسبة، إنهم أحسنوا التصرف؛
- (ج) كيفية التعبير بطريقة مناسبة عن مشاعرهما وعواطفهما، والتحدث عن المشاعر والعواطف التي يحسنان بها هما، وكذلك التي يحس بها أبنائهما، وكيف يساعدان أطفالهما على إدراك مشاعرهم وعواطفهم؛
- (د) كيفية التعرف على السلوك الذي يتطابق مع القيم والمعايير السوية التي يريدان أن ينقلها إلى أطفالهما، وكيفية تقديم النموذج الذي يحتذى في السلوك؛
- (هـ) كيفية تعلّم مهارات مواجهة الظروف وقابلية التكيف واستعادة الحالة السوية وضبط النفس عند الغضب، اجتنابا لزيادة التوتر والإجهاد، وكيفية الاستفادة من أساليب احتواء المنازعات ودرء الشجار بالكلام أو بالأيدي؛
- (و) كيفية الاستفادة من مهارات اللعب القائمة على الاستجابة، أي كيف يدع الوالدان الأطفال يقودون اللعبة ويتعلّمان من خلال ذلك تدبّر سلوك الأطفال وهم يقودون اللعبة؛
- (ز) كيفية ارتقاب الوالدين توقعات منشودة تكون متناسبة مع سن أطفالهما ومستوى غوهم.

تعليم الوالدين توفير التنظيم لبناء حياة الأسرة

ينبغي للوالدين أن يتعلّموا المهارات التالية وأن يمارسوها عمليا:

- (أ) كيفية اتباع أساليب تأديب وانضباط مناسبة لمراحل عمر الأبناء، بما في ذلك كيف يعلمون الأطفال إدراك عواقب سلوكهم؛

- (ب) كيفية إرساء قواعد وقيم واضحة للسلوك المناسب، وكيفية مساعدة الأطفال على فهم قواعد وقيم الأسرة والمجتمع المحلي؛
- (ج) كيفية إدراك المشاكل والأوضاع الإشكالية المحتملة في الأسرة وفي المجتمع المحلي (الاستفادة من الإنترنت، ووسائل الإعلام، وبيئة الجوار، وغير ذلك)، وكيفية حماية أبنائهما؛
- (د) كيفية إدراك ما هي خصالهما الحميدة كوالدين، والاعتماد على هذه الخصال في بناء الأسرة؛
- (هـ) كيفية التوصل إلى الاتفاق فيما بينهما على المسائل الجوهرية في تربية الأبناء، وأسلوب القيام بالوظيفة الوالدية، والحياة الأسرية، وتطبيقها في الممارسة العملية؛ وكذلك كيفية تقرير كل من الأب أو الأم هذه المسائل الجوهرية، بوعي الذاتي بمفرده، في حالة الأسرة المسماة "الوحيدة الوالد"؛
- (و) كيفية رصد أماكن وجود الأبناء وأنشطتهم وأصدقائهم ومدرستهم وأدائهم في الدراسة؛
- (ز) كيفية دعم الأبناء في بلوغ الأهداف التي يعتقد الوالدان والأبناء بأنها غايات هامة، وكيفية الثناء عليهم عند تحقيقها؛
- (ح) كيفية تدبر المنازعات في الأسرة، وتسوية المجادلات، وإبداء الصفح؛
- (ط) كيفية حماية الأبناء من عواقب الانغماس في المجادلات بين الوالدين، وكيفية مساعدتهم على فهم أسباب هذه المجادلات؛
- (ي) كيفية توفير التنظيم في بناء حياة الأسرة بصفة عامة (تناول وجبات الطعام في أوقات معينة من اليوم، تحديد مواعيد الذهاب إلى النوم، وغير ذلك).

تعليم الوالدين المشاركة باهتمام في حياة أبنائهما المدرسية ودراساتهم وكذلك في المجتمع المحلي

ينبغي للوالدين أن يتعلّموا المهارات التالية وأن يمارسوها عمليا:

- (أ) كيفية مراقبة ومساعدة أطفالهما في المدرسة وفي أداء واجباتهما المنزلية؛
- (ب) كيفية التعاون والتواصل مع المدرسة وفي الأنشطة الترويحية، وكذلك في المراكز الصحية في المجتمع المحلي في الشؤون التي تتعلق بأبنائهما.

مضامين ومهارات للأبناء

تُعرض المهارات الخاصة بالأبناء في مجموعتين مختلفتين، لأن الأبناء يحتاجون إلى تعليمهم اكتساب المهارات الهامة لهم أنفسهم، وكذلك المهارات ذات الصلة بعلاقاتهم بالآخرين.

مضامين ومهارات تتعلق بالذات

من أجل تعزيز قدرات الأطفال العاطفية، ينبغي لهم أن يتعلّموا المهارات التالية وأن يمارسوها عمليا:

- (أ) كيفية إدراك عواطفهم وعواطف الأشخاص الآخرين ومعرفة أسمائهم؛
- (ب) كيفية التعبير عن عواطفهم بطريقة مناسبة؛

(ج) كيفية تدبّر سلوكهم والتحكّم به في الأحوال الصعبة؛

(د) كيفية الإحساس بالتعاطف وإظهاره؛

(هـ) كيفية تلقي الانطباعات من الآخرين عن عواطفهم وردود أفعالهم وسلوكهم.

من أجل اكتساب الأطفال الدوافع والتوجّهات اللازمة للمستقبل، ينبغي لهم أن يتعلّموا المهارات التالية وأن يمارسوها عملياً:

(أ) كيفية التفكير فيما يعتبرونه شيئاً ذا قيمة في حياتهم، وفيما هو جيد في اللحظة الحاضرة، وكذلك في الإمكانيات المتاحة في المستقبل؛

(ب) كيفية تصوّر ما يحلمون أن يصبحوه لاحقاً، وما يريدون أن يتعلّموه وما يتمنّون أن يحققوه؛

(ج) كيفية تحديد أهدافهم، بناء على أحلامهم، والتخطيط لبلوغها؛

(د) كيفية عدم التسرّع في التماس الامتنان والمكافأة على ما يفعلونه.

من أجل تنمية الشعور بالاعتداد بالنفس لدى الأطفال، ينبغي لهم أن يتعلّموا المهارات التالية وأن يمارسوها عملياً:

(أ) كيفية إدراك المهارات والإنجازات الخاصة بهم وما يمكنهم أن يحسنوا فعله ويشعروا بالانبساط لذلك؛

(ب) كيفية بناء ثقتهم في قدراتهم ومهاراتهم الذاتية؛

(ج) كيفية مواجهة التعليقات السلبية الصادرة من الآخرين عنهم بذاتهم، كالملاحظات عن مظهرهم الشخصي، وخصوصاً طولهم ووزنهم.

من أجل اكتساب الأطفال المهارات الخاصة بحل المشاكل، ينبغي لهم أن يتعلّموا المهارات التالية وأن يمارسوها عملياً:

(أ) كيفية اتخاذ القرارات، والترجيح بين الخيارات، والتخطيط لكيفية بلوغ الأهداف المنشودة؛

(ب) كيفية مراقبة عواطفهم وسلوكهم وأفكارهم.

من أجل العناية بأنفسهم، ينبغي للأطفال أن يتعلّموا المهارات التالية وأن يمارسوها عملياً:

(أ) كيفية العناية بجسمهم وصحتهم ومظهرهم، وذلك من خلال التعرّف إلى أهمية النظافة والتمارين الرياضية والنظام الغذائي الصحي؛

(ب) كيفية التعرّف إلى آثار مواد الإدمان في الدماغ وفي النمو البدني وأنماط السلوك والعواطف والقدرات الإدراكية والمظهر والصحة والصدقات والعلاقات الأسرية والأداء الدراسي والخيارات المتاحة في المستقبل.

مضامين ومهارات ذات صلة بعلاقات الأطفال بالأشخاص الآخرين

من أجل بناء العلاقات الاجتماعية، ينبغي للأطفال أن يتعلّموا المهارات التالية وأن يمارسوها عملياً:

(أ) كيفية بناء علاقات مستدامة وإيجابية بالأشخاص الآخرين؛

(ب) كيفية التشارك والتفكير والتفاعل مع الأشخاص الآخرين وذلك بتعلّم أسلوب التصرّف بأن يكون لكل دوره، ومساعدة الآخرين، والإحساس بالمسؤولية عن المهام التي يكلفون بها، والعمل مع الجماعة؛

- (ج) كيفية معرفة دورهم (أو أدوارهم) وحقوقهم، وكذلك واجباتهم؛
- (د) كيفية فهم حدود العلاقات الاجتماعية، والاستجابة إلى مطالب الآخرين ورجاءاتهم من دون تعريض أنفسهم للمخاطر.
- من أجل احترام الآخرين، ينبغي للأطفال أن يتعلموا المهارات التالية وأن يمارسوها عمليا:
- (أ) كيفية احترام الفوارق الفردية في الشخصية والمزاج والثقافة والعرق والمنشأ الاجتماعي والمهارات؛
- (ب) كيفية احترام كبار السن وذلك بمساعدتهم والسؤال عنهم والتماس النصيحة منهم.
- من أجل التواصل مع الآخرين بفعالية، ينبغي للأطفال أن يتعلموا المهارات التالية وأن يمارسوها عمليا:
- (أ) كيفية الإصغاء بانتباه للآخرين؛
- (ب) كيفية التعبير عن احتياجاتهم، وكيفية الاستجابة إلى احتياجات الأشخاص الآخرين حينما يحتاجون إلى المساعدة؛
- (ج) كيفية طلب المساعدة حينما لا يعلمون ما ينبغي لهم أن يفعلوه، وكيفية تحديد الأشخاص أو مقدمي الخدمات المناسبين للتحدث إليهم؛
- (د) كيفية مواجهة المنازعات وتسويتها باتباع أساليب تنزع فتيل الوضع المتأزم، ووضع مختلف الأطراف في الحسبان، ومساعدة الآخرين على مناقشة المشكلة بطريقة عملية.
- من أجل مقاومة ضغط الأتراب، ينبغي للأطفال أن يتعلموا المهارات التالية وأن يمارسوها عمليا:
- (أ) كيفية تنمية مهارات واهتمامات جديدة من خلال الهوايات والأنشطة خارج المدرسة؛
- (ب) كيفية تعلم مهارات معيارية، ومعرفة حقيقة طبيعة تعاطي مواد الإدمان ومدى انتشاره؛
- (ج) كيفية تنمية المهارات اللازمة لاتباع الأساليب الفعالة والمنهجية في مقاومة ضغط الأتراب لتجريب و/أو تناول المخدرات وغيرها من مواد الإدمان؛
- (د) كيفية الاختلاط بالأشخاص والأصدقاء الذين لا يتعاطون مواد الإدمان، وكيفية معرفة ما هي خصال الصديق الجيد؛
- (هـ) كيفية العثور على المعلومات الموثوقة عن المخدرات وأثارها.
- من أجل إدراك السياق الاجتماعي، ينبغي للأطفال أن يتعلموا المهارات التالية وأن يمارسوها عمليا:
- (أ) كيفية تحمّل المسؤولية عن سلوكهم هم أنفسهم؛
- (ب) كيفية التوفيق بين سلوكهم ومختلف الأوضاع الاجتماعية والأدوار الاجتماعية وتدبرها.
- من أجل اكتساب المهارات الدراسية، ينبغي للأطفال أن يتعلموا كيف يوجهون انتباههم إلى العمل المدرسي والواجبات المنزلية، وأن يمارسوا ذلك عمليا.

مضامين ومهارات للأسر

من أجل التفاعل الجيد معاً، ينبغي للأسر أن تتعلم كيف يستجيب كل فرد منها للآخر ويهتم به ويشجعه بطريقة إيجابية أكثر وذلك بزيادة إحساس كل منهم تجاه الآخر وتبادل المكافآت والثناء، وينبغي أن تمارس الأسر هذا عملياً.

من أجل اكتساب مهارات التواصل، ينبغي للأسر أن تتعلم المهارات التالية وأن تمارسها عملياً:

- (أ) كيفية إصغاء كل فرد للآخر؛
- (ب) كيفية تنظيم اللقاءات الأسرية لمناقشة المسائل الهامة؛
- (ج) كيفية مناقشة طرق تحديد المسؤوليات والمهام فيما بين أفراد الأسرة من خلال استماع كل منهم للآخر جيداً؛
- (د) كيفية الحفاظ على الهدوء عند مناقشة المواضيع الصعبة كالكحول والمخدرات، والعلاقات، والمسائل الجنسية.

من أجل وضع الحدود اللازمة للتصرف وتوفير التنظيم في بناء الحياة الأسرية، ينبغي للأسر أن تتعلم المهارات التالية وأن تمارسها عملياً:

- (أ) كيفية حل المشاكل معاً بتطبيق مختلف الأساليب والمهارات المكتسبة أثناء البرنامج؛
- (ب) كيفية تطبيق أساليب التأديب والانضباط المناسبة بحسب مراحل النمو بخصوص تصرفات كل فرد من أفراد الأسرة؛
- (ج) كيفية الحفاظ على الاتساق والإنصاف في تطبيق ممارسات التأديب والانضباط بخصوص كل فرد من أفراد الأسرة؛
- (د) كيفية تقديم التعليقات والملاحظات المناسبة فيما بين أفراد الأسرة.

من أجل الحرص على تحقيق الأهداف التي تنشدها الأسرة في المستقبل، ينبغي للأسر أن تتعلم المهارات التالية وأن تمارسها عملياً:

- (أ) كيفية الاستفادة بفعالية من الموارد المتاحة في المجتمع المحلي، والتخفيف من العزلة الاجتماعية، وذلك على سبيل المثال بتكوين علاقات بالأسر الأخرى، وإقامة الاتصالات بدوائر خدمات الدعم (الدوائر الصحية، ودوائر الرعاية الاجتماعية، ومراكز التوظيف، والجماعات في المجتمع المحلي وغير ذلك)؛
- (ب) كيفية تخطيط وتنظيم حياة الأسرة في المستقبل؛
- (ج) كيفية تكوين وفهم مجموعة مشتركة من القيم؛
- (د) كيفية قضاء بعض الأوقات معاً والتخطيط للقيام بأنشطة مشتركة.

المبدأ ٨

ينبغي لبرنامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية أن يركز موارده على اجتذاب الأسر واستبقائها، بما في ذلك السعي إلى الاتصال بالأسر في مراحل انتقالية هامة

اجتذاب الآباء والأمهات إلى البرنامج واستبقاؤهم فيه هما عقبتان ملحوظتان تعرقلان انتشار برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية. والشكوى النمطية التي تُسمع بخصوص تنظيم هذه البرامج أن "الآباء والأمهات لا يأتون لحضور الجلسات" أو أن "الآباء والأمهات الذين يحضرون الجلسات هم أقلهم حاجة إلى

هذا التدريب“. ومع ذلك فإن الأبحاث تبين أن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية التي تتميز بصلتها الوثيقة بواقع الحال وبحسن تنظيمها يمكن أن تحقق معدلات استبقاء بأكثر من ٨٠ في المائة.^{(٧٥)،(٧٦)}

وقد ورد في الفصل الخامس تبيان بعض المبادئ التوجيهية العملية بشأن كيفية بلوغ الحد الأقصى في معدلات اجتذاب الأسر إلى هذه البرامج واستبقائها فيها. وبصفة عامة، تبين الأبحاث بوضوح أن هذه التدخلات الاجتماعية إنما تحقق أقصى قدر من الفعالية إذا ما كان المشاركون مستعدين هم أنفسهم لتحقيق تغيير في حياتهم، وذلك إبان مراحل انتقالية هامة.^(٧٦) وعلى سبيل المثال، لجأ بعض البرامج إلى استهداف الآباء والأمهات في إطار القيام بتدخل اجتماعي لصالح الأسر إبان فترة انتقال الأبناء إلى المرحلة الإعدادية من الدراسة، لأنهم يكونون حينذاك في عمر قد يبدأ فيه الشباب اليافعون، حتى من يتمتعون منهم بحسن التأقلم في العادة، بمواجهة مشاكل في التكيف السلوكي والعاطفي. ومن ثم فكثيرا ما يكون الوالدان إذذاك “مستعدين” للمشاركة والتغيير، لأنهما يبدأان بملاحظة نمو سلوك اعتراضى.

ولذلك فإن المراحل الانتقالية التالية يمكن أن تكون فرصا سانحة للاتصال بالأسر واجتذابها للانضمام إلى البرامج:^(٧٣)

- (أ) بداية دخول الأطفال إلى المدارس، أو بداية مرحلة دراسية جديدة (مثلا، مراحل روضة الأطفال، أو المدرسة الابتدائية أو المدرسة الإعدادية)؛
- (ب) مباشرة الوالدين عملا جديدا، أو تغيير مكان عملهما؛
- (ج) التسجيل في عيادة طبية جديدة؛
- (د) بداية برنامج علاجي للإدمان على المخدرات أو الكحول، وتعهّد الشخص المعني بأن يغيّر مسلكه ويصبح والداً أو والدة أفضل؛
- (هـ) أيّ تغييرات أخرى في ظروف الأسرة، كالطلاق، ومجسيء زوجة أب جديدة أو زوج أم جديد، أو الالتحاق الدائم بأفراد آخرين من الأسرة.

المبدأ ٩

ينبغي أن يتم اختيار برنامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية بناءً على مستواه من حيث أدلة إثبات فعاليته

في كثير من الحالات، قد لا يكون من الممكن وضع برنامج جديد للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية، أو قد لا يكون ذلك فعالا من حيث التكلفة، أو قد لا يكون مستحسنا. ولعل من الأفضل التفكير في إجراء عملية ملاءمة على برنامج كان قد وضع في مكان آخر من أجل فئة مستهدفة مشابهة (وذلك على أقل تقدير بالنسبة إلى عمر الأبناء ومستوى المخاطر المحتملة). وعندما يتم اختيار القيام بملاءمة برنامج ما، من المهم الحرص على اختيار البرنامج الذي يتميز بأعلى مستوى من حيث أدلة إثبات فعاليته.

ومن الناحية العامة، تُعتبر البرامج بأنها تتميز بأعلى مستوى من حيث إثبات فعاليتها عندما تكون قد برهنت على أنها فعالة في تغيير أنماط السلوك المستهدفة، وذلك من خلال تكرارها على نحو مستقل في عدة سياقات، باستخدام منهجيات علمية صارمة في البرهنة (أي اختبارات مراقبة عشوائية، على سبيل المثال)، وعلى أن تكون نتائج ذلك قد نُشرت في مجلات علمية تعنى باستعراض البرامج فيما بين النظراء من الاختصاصيين. علما بأن النتائج المستمدة من اختبار واحد فقط أو من منهجيات علمية أقل صرامة (كالدراسات شبه

^(٧٥) R. Spoth and others, “A controlled parenting skills outcome study examining individual difference and attendance effects”, *Journal of Marriage and the Family*, vol. 57, No. 2 (1995), pp. 449-464.

^(٧٦) R. Spoth and C. Redmond, “Study of participation barriers in family-focused prevention: research issues and preliminary results”, *International Quarterly of Community Health Education*, vol. 13, No. 4 (1993-1994), pp. 365-388.

التجريبية أو الدراسات التي تعنى بقياس النتائج في المرحلتين السابقة واللاحقة ولكن من وجود مجموعة مراقبة) ينبغي أن تعتبر أدلة إثبات أقل درجة من حيث القوة. كما إن أدلة إثبات الفعالية المستمدة من البرامج التي اقتصر في تقييمها على مقارنة النتائج بين مرحلتين ما قبل التدخل وما بعده فقط من دون وجود مجموعة مراقبة، تعتبر أدلة ضعيفة أيضاً، لأن تلك النتائج لا يمكن أن تُعزى بوضوح إلى أنشطة البرنامج المعني نفسه.

غير أن مقارنة تصميم عملية التقييم، وقوة أدلة إثبات الفعالية، وصحة النتائج، ليست مهمة سهلة؛ وقد يجد واضعو السياسات العامة ومدبرو البرامج أن من المفيد استشارة مصادر مرجعية ذات حججٍ اضطلعت من قبلُ بمثل هذه الاستعراضات الدراسية المنهجية. علماً بأنه توجد عدّة مصادر معلومات موثوقة اضطلعت بالمقارنة بين برامج ونهوج وقاية مختلفة؛ وتقريرها عن هذه الجهود المبذولة متاحة للعموم باعتبارها ملكاً مشاعاً وكذلك على الإنترنت.

المبدأ ١٠

ينبغي ملاءمة أي برنامج للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية يُقتبس لتكراره في مجتمع محلي مختلف عن الذي وضع في سياقه، وذلك لكي يلبي الاحتياجات الثقافية والاقتصادية الاجتماعية لدى السكان المستهدفين، من خلال عملية نظامية دقيقة جيدة الموارد

في كثير من الحالات، سوف يكون اقتباس برنامج كان قد وُضع في مكان آخر وثبتت فعاليته، والعمل على جعله ملائماً للمجتمع المحلي أو للثقافة المحلية، أكثر فعالية من حيث التكلفة من البدء بوضع برنامج جديد. وينبغي أن تكون عملية الملاءمة نظامية ومخططة لها بعناية، وذلك لكي توازن ما بين احتياجات المجتمع المحلي واحتياجات الحرص على الأمانة في الاقتباس الدقيق من البرنامج الأصلي الذي تم تقييمه باعتباره برنامجاً فعّالاً.^(٧٧) وقد خُصص الفصل الرابع من هذا الدليل الإرشادي للبحث بتعمق في أفضل الممارسات المتبعة في القيام بعملية الملاءمة.

كما ينبغي أن تكون البرامج متوافقة مع ثقافة الأسر المشاركة، أو ينبغي ملاءمتها لكي تتوافق معها. ذلك أن الأسر تريد برامج وضعت خصيصاً من أجل ما يهتمها هي من قضايا التربية الوالدية للأبناء والاحتياجات الأسرية والقيم الثقافية. علاوة على ذلك، فإن ملاءمة برنامج موجود من قبلُ لكي يُناسب الأوضاع المحلية تؤدي إلى زيادة المشاركة وإلى إظهار الاحترام تجاه الأسر المشاركة.^{(٧٣)،(٧٨)،(٧٩)} وتبين الدراسات^(٨٠) أن مظاهر الملاءمة الثقافية على الأقل على "المستوى السطحي" للبرامج (الأغاني والقصص والصور) لها أهمية حاسمة في اجتذاب المشاركين إلى البرنامج وحثهم على الالتزام به واستبقائهم فيه، ويمكن أن تؤدي أيضاً إلى زيادة معدل الاستبقاء بنسبة قدرها ٤٠ في المائة.^{(٧٣)،(٧٨)،(٧٩)} وسوف تكون الأسر أكثر رغبة في الحضور إذا أظهر البرنامج احترامهم لقيمهم وتقاليدهم الثقافية. غير أنه ليس من الضروري أن يعلم البرنامج الأسر القيم أو التقاليد الثقافية الفعلية لأنها سوف تكون مألوفة لديها من قبلُ؛ فقد تبين من الجلسات الإضافية التي تركز على هذه الجوانب أنها لا تضيف زيادة إلى فعالية البرامج.^{(٨١)،(٨٢)}

D. Allen, L. Coombes and D. Foxcroft, "Preventing alcohol and drug misuse in young people: adaptation^(٧٧) and testing of the strengthening families programme 10-14 (SFP10-14) for use in the United Kingdom", *Alcohol Insight*, vol. 53, 2008.

Richard F. Catalano and others, "Using research to guide culturally appropriate drug abuse prevention",^(٧٨) *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, vol. 61, No. 5 (1993), pp. 804-811.

K. L. Kumpfer and others, "Cultural adaptation process for international dissemination of the Strengthening^(٧٩) Families Program", *Evaluation and the Health Professions*, vol. 31, No. 2 (2008), pp. 226-239.

K. L. Kumpfer and others, "Cultural sensitivity and adaptation in family-based prevention interventions",^(٨٠) *Prevention Science*, vol. 3, No. 3 (2002), pp. 241-246.

V. A. Kameoka, "The effects of a family-focused intervention on reducing risk for substance abuse among^(٨١) Asian and Pacific-Island youths and families: evaluation of the strengthening Hawaii's families project", Honolulu, University of Hawaii, Social Welfare Evaluation and Research Unit, 1996.

V. A. Kameoka, "Psychometric evaluation of measures for assessing the effectiveness of a family-focused^(٨٢) substance abuse prevention intervention among Pacific Island families and children", *Responding to Pacific Islanders: Culturally Competent Perspectives for Substance Abuse Prevention*, Noreen Mokuau and others, eds., CSAP Cultural Competence Series 8, DHHS publication No. (SMA)98-3195 (Rockville, Maryland, Substance Abuse and Mental Health Services Administration and others, 1998).

المبدأ ١١

ينبغي لأي برنامج للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية أن يوفّر التدريب الوافي والدعم المستمر للموظفين المختارين بعناية لأداء المهمة

بغية ضمان جودة النوعية في التنفيذ، من المهم على نحو حاسم توخّي العناية في اختيار وتدريب قادة مجموعات يتمتعون بالكفاءة والاحترام وكذلك، إذا أمكن، بالتوافق في الانتماء الثقافي مع المشاركين في البرنامج.^(٨٣) وينبغي أن يزود التدريب قادة المجموعات بالمهارات والمعارف اللازمة للعمل مع الأسر باتّباع الأساليب التفاعلية، وينبغي أن يضمن لهم أيضاً فهمهم للقيم الجوهرية في البرنامج، ولأهمية الأمانة في دقة اقتباس مضامينه الأساسية وبنية التنظيمية وتوقيت مسار التمارين العملية التي يشتمل عليها. ومن اللازم أيضاً أن يتعلّم قادة المجموعات أفضل الأساليب في اجتذاب الأسر للالتحاق بالبرنامج واستبقائهم فيه، وكذلك كيفية رصد سير البرنامج وضمان جودة تنفيذه. وتحققاً لهذه الغاية، لا بدّ من الإشراف على قادة المجموعات وتقديم الدعم لهم على نحو مستمر؛ ويرد في الفصل السادس من هذا الدليل الإرشادي بحث أكثر تفصيلاً في هذه المسألة الهامة الخاصة بالتنفيذ.

المبدأ ١٢

ينبغي أن تتضمن مكونات أي برنامج للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية عناصر قوية ومنهجية خاصة بالرصد والتقييم

الرصد الدائم للأنشطة التي تُنفذ في إطار البرنامج، ولعدلات اجتذاب الأسر واستبقائها فيه وتخرّجها منه، ولأسباب ترك الأسر البرنامج، وكذلك أسباب بقائها فيه، كلها مصادر هامة للمعلومات التي ينبغي مواصلة جمعها طوال مدة تنفيذ البرنامج من أجل تقييم ما الذي جرى فيه على ما يرام وما الذي يمكن تحسينه. وإن هذه الثقافة الخاصة بالرصد والتقييم هي الأساس الذي تستند إليه جودة نوعية تنفيذ برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية التي ثبتت فعاليتها.

وإلى جانب عملية الرصد والتقييم، من المهم التخطيط لإجراء تقييم لتأثير البرامج أيضاً. وهذا مهم بصفة خاصة في حالة اقتباس البرامج لتكرارها في ظروف مختلفة عن الظروف التي جرى فيها اختبار البرنامج الأصلي. كما إن عمليات التقييم تسهم أيضاً في إرساء قاعدة الفهم والمعرفة لدى الأوساط العالمية المعنية بالوقاية، وتكشف ما هي البرامج الفعالة في التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، وما هي الظروف التي تكون فيها كذلك، وما هي الفئات السكانية التي تتبدى فيها فعالية هذه البرامج؛ ومن ثم فإن هذه العمليات التقييمية تقدم ما تتطلبه الحاجة من أدلة إثبات الفعالية لكي يُستفاد منها في الدعوة إلى مناصرة هذه البرامج لدى مقرري السياسات العامة والجهات المانحة.

وفي الفصل السابع عن الرصد والتقييم وضمان استدامة برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، تُبحث في القسمين الأولين عن الرصد والتقييم، السبل التي يمكن بواسطتها إدخال عناصر قوية خاصة بالرصد والتقييم في مكونات أي برنامج للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية.

M. R. Sanders and K.M.T. Turner, "Reflections on the challenges of effective dissemination of behavioral family intervention: our experience with the Triple P-Positive Parenting Program", *Child and Adolescent Mental Health*, vol. 10, No. 4 (2005), pp. 158-169.

C. Webster-Stratton, "Affirming diversity: multi-cultural collaboration to deliver the Incredible Years (A4) Parents Programs", forthcoming.

رابعاً- جعل برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية متلائمة مع الظروف الثقافية

في كثير من الحالات، يكون اللجوء إلى جعل برنامج مثبتة فعاليته ومعد في مكان آخر متلائماً مع ظروف المجتمع المحلي أو الثقافة المحلية، أكثر فعالية من حيث التكلفة من وضع برنامج جديد كلياً. وكما ذكر أعلاه، فإن عملية الملاءمة ضرورية لأن البحوث تشير إلى أن ملاءمة البرامج أمر حاسم الأهمية في اجتذاب المشاركين إلى البرنامج وانخراطهم واستبقائهم فيه، ويمكن أن تزيد معدل الاستبقاء بنسبة ٤٠ في المائة.^{(٧٣)،(٧٨)،(٧٩)} وقد تمت ملاءمة العديد من برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية مع العديد من الثقافات المختلفة وتم تنفيذها، وتبين من النتائج أنها فعالة جداً.

إن تحقيق الملاءمة بين برنامج ما والواقع الثقافي للأسر من خلفيات عرقية أو ثقافية مختلفة يتطلب عملية منهجية ودقيقة تراعي النواحي الثقافية والاجتماعية-الاقتصادية، وتكون مدعومة بالبحوث والنظريات.^{(٨٤)،(٨٥)،(٨٦)} وثمة أدلة جيدة تثبت أنه عندما تتم هذه الملاءمة على النحو الصحيح، يمكن لبرامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية أن تكون فعالة بالنسبة لمختلف المجموعات.^(٨٧) ولكن، مع أن من الضروري أن تتماشى هذه الملاءمة مع ثقافة المجموعات السكانية المستهدفة ومع وضعها الاجتماعي-الاقتصادي، فإنه لا بد أيضاً من ضمان الأمانة في اقتباس البرامج التي ثبتت فعاليتها. وبعبارة أخرى، يجب أن يُراعى في عملية الملاءمة الاحتفاظ بالعناصر الجوهرية للبرامج التي تبينت فعاليتها بعد تقييمها في مكان آخر.

المبادئ الأولى: الاقتصار على الحد الأدنى من الملاءمة في البداية

تشير أدلة إثبات الفعالية فيما يخص التفكير السليم أو الحد الأدنى من عمليات الملاءمة (مثل الترجمة اللغوية، وإظهار الصورة الصحيحة من ناحيتي العرق والعنصر، وعبارات الترحيب المناسبة ثقافياً، وتمينات الخير والبركة للمجموعات، والأغاني والقصص والرقصات والتمارين والأمثلة وعروض الفيديو) إلى أن هذا الحد الأدنى من أشكال الملاءمة ضروري، ولا يؤثر في العناصر الجوهرية للبرنامج، ويحافظ على فعالية البرنامج الأصلي. ومع ذلك، ليس هناك الكثير من الأدلة التي تثبت ماهية العنصر الجوهري عندما تدعو الحاجة إلى عملية ملاءمة أو إلى ما يشكّل ملاءمة مقبولة من شأنها أن تضمن الأمانة في الاقتباس من البرنامج الأصلي المثبتة فعاليته. ومع أن الملاءمة التي من شأنها أن تحد من مدى الأمانة في الاقتباس لا تؤدي تلقائياً إلى جعل البرنامج الذي خضع للملاءمة غير مقبول أو غير فعال، فإنه لا يمكن اعتبار ذلك البرنامج تكراراً للبرنامج

M. K. Ho, "Differential application of treatment modalities with Asian American youth", *Working with Culture: Psychotherapeutic Interventions with Ethnic Minority Children and Adolescents*, L. A. Vargas and J. D. Koss-Chioino, eds. (San Francisco, Jossey-Bass, 1992), pp. 182-203.

M. Barrera and F. G. Castro, "A heuristic framework for the cultural adaptation of interventions", *Clinical Psychology: Science and Practice*, vol. 13, No. 4 (2006), pp. 311-316.

M. J. Reid, C. Webster-Stratton and T. P. Beauchaine, "Parent training in Head Start: a comparison of program response among African American, Asian American, Caucasian, and Hispanic Mothers", *Prevention Science*, vol. 2, No. 4 (2001), pp. 209-227.

الأصلي المثبتة فعاليته، وبالتالي لا يمكن ضمان فعاليته. ولذلك، فإن المبدأ العام يقتضي اختيار وتنفيذ برنامج "متناسب" جيداً مع المشكلة والسكان بحيث لا يحتاج إلا إلى أدنى حد من الملائمة.

وعندما يتم تنفيذ برنامج خضع للحد الأدنى من الملاءمة، فإن نتائج عملية الرصد والتقييم قد تدل على أن ثمة حاجة إلى ملاءمة أكثر عمقا.^(٨١) وتصبح هذه العملية أقرب إلى وضع برنامج جديد، وينبغي بدهة أن تستند إلى المبادئ التي ذُكرت أعلاه، مع التركيز خصوصاً على ضرورة استنادها إلى أساس نظري وإلى تقييم لعوامل الخطورة ولعوامل الحماية فيما يتعلق بالفئات السكانية المستهدفة. وفي هذه الظروف، قد يكون من المستصوب إشراك مؤسسة أبحاث لديها خبرة في تقييم عوامل الخطورة وعوامل الحماية الخاصة بالسلوك المحفوف بالمخاطر داخل الأسر، وذلك مثل كليات علم النفس أو كليات العمل الاجتماعي الجامعية.

وينبغي ألا تؤثر هذه العملية التي تقتصر على الحد الأدنى من الملاءمة في البنية الجوهرية وفي التسلسل ضمن البرامج. والأمثلة الواردة فيما يلي كلها عن التعديلات التي من شأنها أن تحول دون ضمان الأمانة في الاقتباس من البرامج المثبتة فعاليتها، والتي ينبغي بالتالي تجنبها:

- (أ) تغيير النهج النظري الذي يقوم عليه البرنامج؛
- (ب) الاستعانة بقيادة مجموعات غير مدربين أو غير مؤهلين على النحو الموصى به؛
- (ج) الاستعانة بعدد من قادة المجموعات أقل من العدد الموصى به؛
- (د) تقليص عدد الجلسات أو نوعها (جلسات للوالدين أو للأطفال أو للأسرة) أو تقصير مدتها؛
- (هـ) تغيير محتوى الجلسات (على سبيل المثال، تغيير الرسائل الموجهة الأساسية أو المهارات الأساسية، أو إزالة مواضيع، أو حذف المهام المنزلية)، وكذلك تغيير تسلسلها؛
- (و) استخدام البرنامج من أجل فئات سكانية لم يُصمّم لها (من حيث السن أو مستوى المخاطر) (انظر المبادئ الواردة في الفصل الثاني)؛
- (ز) خفض معايير انخراط المشاركين.

الخطوات اللازمة في عملية ملاءمة برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية مع الظروف الثقافية

فيما يلي وصف للعملية الموصى بها بشأن الاقتصاد على حد أدنى من الملاءمة حرصاً على تحقيق التوازن الفعال بين الاحتياجات الاجتماعية-الاقتصادية والثقافية للفئات السكانية المستهدفة من دون التقليل من الأمانة في الاقتباس من البرنامج الأصلي المثبتة فعاليته.

جمع المعلومات عن البرامج المناسبة المثبتة فعاليتها

ينبغي اختيار برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية بما يلبي ما تم تقديره من احتياجات الفئات السكانية المستهدفة. ولذلك ينبغي الشروع في تقدير الاحتياجات لتزويد مقرري السياسات العامة ومديري البرامج بالمعلومات اللازمة لاختيار ما هو مناسب من البرامج المثبتة فعاليتها بحيث تكون متماشية مع العمر ومستوى المخاطر لدى الفئات السكانية المستهدفة. ومن ناحية عامة، عندما تُقرّر هذه المعايير، يكون الاختيار محصوراً بين قلة (واحد إلى ثلاثة) من البرامج المثبتة فعاليتها.

وعند اتخاذ القرار النهائي بشأن البرنامج المراد استخدامه، فإن من المناسب لمقرري السياسات ومديري البرامج الاتصال بمعدّي البرنامج لطلب المزيد من المعلومات بشأنه.^(٨٨) وتتيح مناقشة المواد المعدّة والأنشطة وأدوات الرصد والتقييم فكرة أدق عن مدى مناسبة البرنامج. ومن المهم أيضا معرفة ما إذا كانت عملية ملاءمة البرنامج ثقافيا قد تمت من قبل، وإذا حصل ذلك، فمن المهم معرفة الثقافة واللغة التي تمت ملاءمته معها، والنتائج التي تم التوصل إليها والتعديلات الإضافية التي يمكن أن تكون مقبولة. والسؤالان الهامان الآخران هما: "من الذي ينبغي أن يتولّى تنفيذ البرنامج؟" و"ما هي المؤهلات والتدريبات اللازمة؟" كما ينبغي البحث في مسألة المواد المعدّة: فهي في العادة لا تكون متاحة مجانا، ويجب شرائها. وحتى عندما تتوفر المواد المعدّة من دون كلفة، فقد يكون من الصعب استخدامها من دون شراء خدمات الدعم من معدّ البرنامج. وبصفة عامة، يمكن، بمساعدة معدّ البرنامج، تقدير مدى "تناسب" البرنامج مع تلبية احتياجات الهيئة المحلية المعنية ومع السياق الإداري والأسري في الثقافة المحلية.

إنشاء فريق يتولى عملية الملاءمة مع الظروف الثقافية

إن تشكيل فريق ليتولى عملية الملاءمة الثقافية فكرة جيدة لتخطيط وتنفيذ عملية الملاءمة القائمة على الحد الأدنى، وكذلك الإشراف عليها بغية ضمان التوازن بين احتياجات المجتمع المحلي والأمانة في الاقتباس من البرنامج الأصلي المثبتة فعاليته. وينبغي أن يضم الفريق، بالإضافة إلى مدير البرنامج، معد البرنامج (أو ممثلا له)، و مترجما (انظر المناقشة الواردة أدناه بشأن أهمية عملية الترجمة)، وممثلا عن معهد الأبحاث المكلف بالتقييم، وممثلين عن المجتمع المحلي (ومن المفيد أيضا في مرحلة لاحقة أن يشمل عددا من الآباء والأمهات الذين خضعوا للبرنامج). وتبعا للظروف، قد يكون من المفيد أن يضم موظفين أو متطوعين أو أطباء ذوي الخبرة في تنفيذ برنامج للتدريب على المهارات الأسرية، وممثلا عن الهيئة المانحة.

ترجمة المواد المعدّة إلى اللغة المحلية وجعلها متلائمة مع الثقافة المحلية

تستغرق عملية ترجمة برنامج التدريب، وأدوات الرصد والتقييم والمواد المعدّة إلى اللغة المحلية وقتا طويلا وهي عملية معقدة. ويلزم تخصيص ما يكفي من الوقت والموارد لضمان عدم ضياع الرسائل الأساسية المراد توجيهها، في هذه العملية. ولذلك يُوصى بالتعاقد مع مترجمين محترفين للعمل بالتعاون مع الفريق الذي يتولى عملية الملاءمة مع الظروف الثقافية، وكذلك مع معدّ البرنامج.

ومن الاعتبارات الهامة في عملية الترجمة التوصل إلى اتفاق مع قادة المجموعات ومع المشاركين في المستقبل على المصطلحات الأساسية: إذ من المهم تقديم الأفكار والمفاهيم بالكلمات الشائع استخدامها في المجتمع المحلي حتى يسهل فهمها فورا. وعلى نحو مماثل، فإن الأغاني والقصص والصور والأمثلة قد يلزم تغييرها كي تكون "متناسبة" ثقافيا. وهذا الحد الأدنى من عملية الملاءمة ضروري لزيادة فعالية البرامج التي تُنفذ في مجتمع محلي يختلف عن المجتمع المحلي الذي وُضعت ونُفذت واختبرت فيه أصلا. ومع ذلك، فإن هذه العملية ينبغي ألا تصل إلى حد تغيير البنية الأساسية والمضمون الجوهرية للبرنامج. وينبغي أن يعيد

^(٨٨) Craig H. Blakely and others, "The fidelity-adaptation debate: implications for the implementation of public sector social programs", *American Journal of Community Psychology*, vol. 15, No. 3 (1987), p. 253.

المرجمون المحترفون ترجمة البرنامج الناتج إلى اللغة الأصلية لكي يراجع معدّ البرنامج النتائج ويتأكد من أنه تم الاحتفاظ بالمكونات الجوهرية للبرنامج.

قياس خط الأساس المعياري

قبل تنفيذ البرنامج، من المهم جمع البيانات الأساسية المعيارية عن النتائج المستهدفة، وعن المتغيرات الأخرى المحددة في نموذج التغيير، وغير ذلك من البيانات ذات الصلة بالسكان والسياق. ويتيح جمع البيانات الأساسية المعيارية الحصول على معلومات عن السكان المستهدفين وعن السياق قبل القيام بالتدخل الاجتماعي، حتى يكون بالإمكان مقارنتها بالوضع بعد التدخل.^(٨٩)

وينبغي أن تشتمل البرامج المثبتة فعاليتها على أدواتها الخاصة بها اللازمة للرصد والتقييم وجمع المعلومات انطلاقاً من خط الأساس المعياري، وكذلك بعد التنفيذ. واعتماداً على تصميم منهج التقييم، قد يكون من المستحسن إشراك مؤسسة أبحاث في هذه العملية. وفي هذه الحالة، ينبغي أن تشكل مؤسسة الأبحاث جزءاً من فريق الملاءمة الثقافية، وأن تشارك في عملية الملاءمة المقصودة على الحد الأدنى. وفي الواقع، ثمة حاجة أيضاً إلى ترجمة أدوات الرصد والتقييم، وإلى ملاءمتها ثقافياً أيضاً، وإلى تجريبيها، إن أمكن ذلك، قبل استخدامها في جمع المعلومات الأساسية المعيارية.^(٩٠) ويتناول الفصل السابع من هذا الدليل الإرشادي مسألة رصد وتقييم برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية بمزيد من التفصيل.

إدخال عنصر رصد قوي

ينبغي أن يتضمن أي برنامج للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية في مكوناته عنصر رصد قوياً. وهذا أمر بالغ الأهمية بصفة خاصة خلال تنفيذ برنامج حديث الترجمة ذي فعالية مثبتة وُضع في مكان آخر وتمت ملاءمته بالحد الأدنى. وينبغي بذل كل جهد ممكن للاستفادة من أدوات الرصد على أتم نحو ممكن في توثيق معدّلات الحضور، والحصول على التعليقات والملاحظات المفيدة من المشاركين، وتقدير مدى الأمانة في الاقتباس من البرنامج الأصلي، وكذلك توثيق النجاحات والعقبات.

تقييم عملية الملاءمة الثقافية

عقب التنفيذ، ينبغي إجراء تقييم للأوضاع لدى السكان المستهدفين وكذلك السياق، من أجل توفير البيانات اللازمة لغرض مقارنتها مع البيانات التي جمعت انطلاقاً من خط الأساس المعياري. وينبغي جمع ما يكفي من البيانات لتقييم العملية وتأثير البرنامج الذي تمت ملاءمته مع الظروف الثقافية. ومن الأهمية بمكان أن يتم جمع هذه المعلومات وتحليلها، وعلاوة على كل شيء، تزويد البرنامج بها من أجل زيادة تحسّنه. وهذا ما يسمى "دورة التحسين المستمر للنوعية". وقد يكون من الضروري القيام بمزيد من إجراءات الملائمة القائمة على الحد الأدنى، بل ينبغي الاضطلاع بذلك. وفي بعض الحالات، قد لا يؤدي البرنامج إلى التغييرات المتوقعة أو المرجوة. وإذا حدث ذلك، فإن من المهم العمل على تحديد السبب. وهناك العديد من الأسباب المحتملة

^(٨٩) *Monitoring and Evaluating Youth Substance Abuse Prevention Programmes* (United Nations publication, Sales No. E.06.XI.7).

^(٩٠) D. M. Fetterman, S. J. Kaftarian and A. Wandersman, eds., *Empowerment Evaluation: Knowledge and Tools for Self-Assessment and Accountability* (London, Sage Publications, 1995).

لذلك، بعضها مشاكل في التدريب والتنفيذ والأمانة في الاقتباس والقبول الثقافي والعقبات التي تحول دون استخدام البرنامج. وينبغي استكشاف جميع هذه الأسباب المحتملة من أجل تحديد ما الذي ينبغي إجراؤه من تعديلات الملاءمة الإضافية، بل ربما المضمونية.

ولهذه الأسباب، يجب أن يُضطلع بالتقييم بطريقة نظامية، وينبغي، عند الإمكان، أن تُستخدم فيه منهجية علمية صارمة. ومن المهم أيضا إتاحة نتائج التقييم إلى الأوساط العالمية المعنية بالوقاية. وإذا أُشركت مؤسسة بحثية واضطلعت بالتقييم، مع ضمان القيام بعملية صارمة علميا، قد يكون نشر النتائج حاسم الأهمية لزيادة المعرفة المتاحة بشأن فعالية الصيغ أو النماذج المعدلة أو الملاءمة ثقافيا. وحتى لو لم يتم الالتزام بأعلى معايير التصميم وأعلى المعايير المنهجية، فإن هذه النتائج قد توفر معرفة هامة للأوساط العالمية المعنية بالوقاية، وينبغي لذلك إتاحتها أيضا.

خامسا- اجتذاب الآباء والأمهات والأسر إلى البرنامج واستبقاؤهم فيه

يمثل اجتذاب الآباء والأمهات للانضمام إلى البرنامج واستبقاؤهم فيه عقبة كبيرة أمام انتشار برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية. ومع ذلك، تبين الأبحاث أن البرامج المناسبة والجيدة التنظيم في مجال التدريب على المهارات الأسرية يمكن أن تحقق معدلات استبقاء تتجاوز ٨٠ في المائة.^{(٧٥)،(٧٦)} ويقدم هذا الفصل بعض المبادئ التوجيهية العملية لتحقيق أعلى معدلات الاجتذاب إلى البرامج والاستبقاء فيها.

اجتذاب الأسر إلى البرنامج

من دواعي القلق النمطية فيما يتعلق ببرامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، أنه حتى لو تسجل في البرنامج عدد كاف من الأسر، فإنها لا تحضر جميعها في واقع الأمر. وهناك مستوى معين من التسرب قد يُعتبر لا مفر منه بين التسجيل والجلسة الأولى من البرنامج، وفي الواقع تبين في العديد من البرامج أن من المفيد تسجيل عدد من الأسر يفوق العدد المراد تخريجه بعد التدريب. كما تبين بشكل عام أنه كلما طال الوقت بين التسجيل والجلسة الأولى، ارتفع عدد المنقطعين عن حضور البرنامج. لذا، فإن من المعقول الحرص على أن تكون الفترة الفاصلة قصيرة قدر الإمكان.

وتعتبر زيارات التوعية التي تهدف إلى الالتقاء بالأسر خلال عملية الاجتذاب وسيلة جيدة لحث الأسر على المشاركة، لأن تلك الزيارات تتيح فرصا لمناقشة البرنامج والعقبات العملية التي يمكن أن تحول دون الحضور في مرحلة مبكرة.^{(٩١)،(٩٢)} ولهذا الأمر أهمية خاصة في حالة الأسر المعرضة لمخاطر أشد من غيرها. كما تتيح زيارات التوعية فرصة جيدة للبدء في بناء علاقة ثقة مع الأسر في المجتمع المحلي، وتكتسي أهمية خاصة بالنسبة إلى الأسر المعرضة لمخاطر شديدة، لأنها كثيرا ما تكون صلاتها بهيئات المساعدة الاجتماعية سلبية. كذلك فإن بناء علاقات شخصية أوثق بين موظفي البرنامج والأسر قد يعزز أيضا جهود الاجتذاب في العديد من الثقافات التي تُعزى فيها للعلاقات الشخصية قيمة كبيرة. هناك اعتبار هام أيضا ينبغي العناية به وهو تحديد من يقوم بزيارات التوعية. فقد أظهرت الأبحاث أن اجتذاب الأسر وخصوصا الأسر المعرضة لمخاطر شديدة، يحقق نجاحا أكبر عندما يقوم بمهمة الاتصال شخص يمثل "صلة الوصل بالمجتمع المحلي"، مثلا

^(٩١) K. L. Kumpfer, "How to get hard-to-reach parents involved in parenting programs", *Parenting as Prevention: Preventing Alcohol and Other Drug Abuse Problems in the Family*, D. Pines, D. Crute and E. Rogers, eds. (Rockville, Maryland, Office of Substance Abuse Prevention, 1991), pp. 87-95.

^(٩٢) J. D. Hawkins and others, "The Seattle Social Development Project: effects of the first four years on protective factors and problem behaviors", *Preventing Antisocial Behavior: Interventions from Birth through Adolescence*, J. McCord and R. E. Tremblay, eds. (New York, Guilford Press, 1992).

كأحد أفراد أسرة أخرى خضعت من قبل للبرنامج التدريبي، أو شخص من منظمة ما أو ممارس مهني تطوع للمساعدة في اجتذاب الأسر،^(٩٣) مما هو الحال عندما يقوم بالاتصال فريق من الباحثين الجامعيين.^(٩٤)

وفي مرحلة لاحقة من عملية التنفيذ، يُعتبر انتقال خبر البرنامج شفاهة من شخص إلى شخص وسيلة هامة للدعوة إلى مناصرة البرنامج، لأن الأسر التي حضرت البرنامج وارتاحت له قد تقوم بالترويج له بين الأسر الأخرى. وينبغي أن يُشجع الآباء والأمهات على أن يدركوا أن مشاركتهم في البرنامج وتعليقاتهم عليه قد تكون مفيدة للأسر الأخرى في المجتمع المحلي أو في جميع أنحاء البلد أو المنطقة الجغرافية. فليس من المبالغة إعلام الآباء والأمهات الذين يشاركون في المراحل الأولى من البرنامج في مجتمع محلي بأن باستطاعتهم فعلياً أن يكونوا رواداً في تحقيق الوقاية لأسر أخرى. ويساعد هذا الانطباع الأسر على الشعور بالإسهام بدلاً من الشعور بأنهم مجرد متلقين للمساعدة.

وتبين أنه عندما تُحال الأسر إلى البرنامج عن طريق هيئات أخرى، تكون دعوة تلك الهيئات إلى جلسة التعريف بالبرنامج أو إلى الجلسة الأولى مفيدة في تشجيعها على الاستمرار في إحالة الأسر وحثها على نحو أكثر فعالية على الالتحاق بهذه البرامج. وثمة وسيلة مفيدة أخرى لتشجيع الهيئات على القيام بالإحالات ربما تتمثل في تخطيط وتنظيم جلسات إعلامية عن البرنامج خلال الاجتماعات العادية لفرقهم العاملة في هذا الميدان.

وقد يتيح الاتصال بالآباء والأمهات وإعلامهم عن البرنامج في مواقع مختلفة وخلال أنشطة مختلفة، مثل الاجتماعات الدينية والمناسبات الاجتماعية المحلية، أمام الرجال والنساء فرصة سانحة لطرح أسئلة قد لا يرغبون في طرحها حينما يواجهون منفردين موظفي البرنامج. ومن ثم فإن إيصال التوعية، وبخاصة إلى الآباء والرجال في المجتمع المحلي، قد تكون أسير بهذه الطريقة.

وهناك طريقة هامة أخرى تساعد في اجتذاب الأسر وهي إجراء محادثات مع الوجهاء وكبار السن في المجتمع المحلي لحضهم على تأييد البرنامج ودعمه.

وقد تُحدث طريقة عرض البرنامج فرقاً ما. ففي كثير من المجتمعات، يُعتبر تعاطي المخدرات وصمة عار، ولذلك قد يُنظر إلى مشاركة الآباء والأمهات في برامج الوقاية منها كما لو كانت إقراراً بوجود مشكلة في الأسرة. وقد تبين أن من المجد تقديم برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية على أنها وسيلة مفيدة للآباء والأمهات في التعامل مع أبنائهم المراهقين أو في تعزيز صحتهم وأدائهم الأكاديمي.

وكثيراً ما تشكل الترتيبات العملية عائقاً أمام المشاركة والاستبقاء، على النحو المبين، في القسم التالي. كما أنها قد تسهم في اجتذاب عدد أكبر من المشاركين. فعلى سبيل المثال، قد يكون احتمال مشاركة الآباء والأمهات في الجلسة الأولى من البرنامج أكبر إذا عقدت في مكان آمن لا يظالم فيه الشعور بالوصمة ويسهل الوصول إليه.

وكما ورد في الفصل الثالث، فإن البرامج المتدرجة المستويات التي توفر أنشطة وقائية على مستويين أو أكثر من مستويات المخاطر (الشاملة، والانتقائية، والمحددة) تسهل على الأسر الالتحاق بها من أجل الحصول على الخدمات المختلفة في البرنامج، لأن البرنامج مقدّم للجميع في المجتمع المحلي، على الأقل على المستوى الشامل للأنشطة.^{(٥٩)،(٦٠)،(٦١)،(٦٢)،(٦٥)}

^(٩٣) Gene H. Brody and others, "The strong African American families program: translating research into prevention programming", *Child Development*, vol. 75, No. 3 (2004), pp. 900-917.

^(٩٤) R. L. Spoth, C. Redmond and C. Shin, "Randomized trial of brief family interventions for general populations: adolescent substance use outcomes 4 years following baseline", *Journal of Consulting Clinical Psychology*, vol. 69, No. 4 (2001), pp. 627-642.

استبقاء الأسر في البرنامج

يشكّل اجتذاب الأسر للانضمام إلى البرنامج نصف المعركة. وأما النصف الآخر فهو استبقاء الأسر المشاركة بانتظام طوال الفترة المتبقية من البرنامج. وهناك العديد من الطرق لضمان بقاء الأسر في البرنامج، لكن من المهم أن نتذكر أنه خلال الفترة التجريبية الأولى من البرنامج، قد يصل معدل التسرب إلى ٦٠ في المائة. وهذا لا يعني أن هذا البرنامج ينبغي التخلي عنه. ذلك أنه عندما يكتسب قادة المجموعات المزيد من الخبرة، ويتم التغلب على العقبات العملية التي تحول دون المشاركة، وتظهر رسائل إيجابية حول فوائد المشاركة في البرنامج، ينبغي أن يزيد معدل الاستبقاء ليصل إلى ٨٥ في المائة من الأسر التي يتم اجتذابها.^(٩٥) وبصفة عامة، تفيد تجربة العديد من معدّي البرامج أنه عندما يحضر الآباء والأمهات الجلسات الثلاث الأولى، فمن المرجح أن يواصلوا البرنامج حتى إتمامه.

ومن أجل تقديم المساعدة إلى الآباء والأمهات في المواظبة على الحضور، لا بد من استبانة العوائق العملية التي تحول دون حضورهم، وإيجاد السبل اللازمة للتغلب عليها. وغالبا ما تُناقش هذه المسألة في الجلسة الأولى. وعادة ما يشدّد قادة المجموعات على أهمية الحضور، ويديرون جلسات لتبادل الأفكار تهدف إلى تحديد العوائق التي تحول دون الحضور (مثل طفل مريض، أو عطل سيارة أو الاضطرار إلى العمل وبالتالي التغيب عن جلسة ما) والحلول الممكنة، وكذلك وضع خطة لمساعدة الآباء والأمهات على حضور جلسات البرنامج. ويمكن أن تشمل هذه الخطة ما يلي:

- (أ) تنظيم الجلسات في المكان والزمان المناسبين للآباء والأمهات (مثل الفترة المسائية وعطلة نهاية الأسبوع)، مع مراعاة أن يكون الوقت والمكان مقبولين من الناحية الثقافية؛
- (ب) تنظيم النقل ودفع تكاليفه (مثل ترتيب نقل المشاركين أو توفير بدائل (فيشات) أجرة الحافلات أو سيارات الأجرة، أو قسائم شراء البنزين)؛
- (ج) تنظيم رعاية الأطفال في مكان انعقاد الجلسات ودفع تكاليفها؛
- (د) تنظيم جلب وجبات الطعام ودفع تكاليفها (قبل الجلسات التدريبية أو بعدها)، أو تقديم وجبات الطعام كجزء من البرنامج؛
- (هـ) التفاوض مع أصحاب المصلحة المعنيين في المجتمع المحلي (مثل أرباب العمل أو كبار السنّ أو الأزواج) للسماح بحضور الآباء والأمهات.

وقد يكون من المفيد تنظيم الجلسات بالاستفادة من مناسبات "الاجتماعات الطبيعية"، وهي الاجتماعات التي تُعقد بانتظام في المجتمع المحلي، مثل الاجتماعات ذات الطابع الديني، واجتماعات المعلمين بالآباء والأمهات واجتماعات مجالس التخطيط. وقد لجأ أحد القائمين بتيسير البرامج إلى وسيلة مبتكرة بالاستفادة من الوقت الذي يمضيه الآباء والأمهات في التنقل بالقطارات لتقديم البرنامج. ويقدم بعض البرامج في أماكن العمل خلال وقت يُخصّص لذلك أو خلال وقت الغداء. وكثيرا ما تُنفذ البرامج في الأماكن التي يعيش فيها الآباء والأمهات، كأن تُعقد الجلسات في الحي السكني نفسه، أو في قاعة للنشاطات الاجتماعية، أو في مركز صحي أو في مجمع سكني. ذلك أنه يمكن اختصار الوقت والتقليل من العوائق العملية (اللوجستية) عند

G. B. Aktan, "Organizational frameworks of a substance use prevention program", *International Journal of the Addictions*, vol. 30, No. 2 (1995), pp. 185-201.

إيجاد مكان لانعقاد الجلسات حيث لا يُضطر الآباء والأمهات إلى أكثر من السير مسافة قصيرة مع أطفالهم للوصول إليه. كما أن ميزة عقد جلسات البرنامج في المدارس هو أن من شأن ذلك أن يزيد مشاركة العاملين في المدرسة ويعزز التواصل بين الآباء والأمهات والمدرسة. ومع ذلك، ينبغي أن يوضع في الاعتبار أن المدرسة قد لا تكون أفضل مكان لتنفيذ البرنامج بالنسبة إلى الشباب المراهقين الذين لا يذهبون إلى المدارس بانتظام أو الذين يعانون من مشاكل في المدرسة.

وقد يؤدي شعور الآباء والأمهات بالإحباط وبأنهم ليسوا كفؤاً مثل هذه الاجتماعات إلى امتناعهم عن حضور البرنامج. ولذلك ينبغي اغتنام كل فرصة ممكنة لتبديد هذه الشكوك الذاتية ومواجهتها على نحو إيجابي وطمأننة الآباء والأمهات والأسر وتشجيعهم والثناء عليهم. وقد تكون البرامج التي تشمل الأبناء ناجحة لأن الأبناء يشجعون الآباء والأمهات بإبداء رغبتهم في الحضور. ومن ثم، فإن الآباء والأمهات الذين قد لا يرغبون في بعض الأماسي أو الأوقات في الحضور بسبب التعب أو الانشغال بشيء آخر، قد يأتون في كثير من الأحيان لأن أبناءهم يريدون الحضور.

ويجب أن يبدي قادة المجموعات احتراما للأسر التي تحضر البرنامج. فقادة المجموعات الذين يحترمون الأسر، ويتوافقون معها ثقافياً، بأكثر قدر ممكن، والذين يحظون بدعم جيد، سوف يحققون أعلى معدلات الاستبقاء. والأرجح أن تحترم الأسر أيضاً قادة المجموعات إذا اتخذوا نهجاً إيجابياً "قائماً على نقاط القوة"، لعلمهم بأن الأسر جميعها تتمتع بنقاط قوة. والغرض من هذه البرامج هو البناء على نقاط القوة الموجودة فعلياً لدى الأسر. وتختلف طرق إبداء الاحترام للأسر بحسب الثقافات: ومن الأمثلة العديدة المبلغ عنها على إبداء الاحترام للأسر إرسال دعوات لحضور الجلسة الأولى مطبوعة عليها بوضوح أسماء هذه الأسر؛ ووضع زهور ناضرة على الطاولة عند تناول الوجبة الأولى، وقيام قادة المجموعات بتقديم الوجبة الأولى من الطعام إلى الأسر بأنفسهم.

وتلجأ بعض برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية إلى إجراء قرعة "مهيأة" تحصل فيها الأسر التي أدت تمارينها المنزلية على جوائز كل أسبوع، على أن تحصل جميع الأسر على جوائز في سياق البرنامج. ويقرر قادة المجموعات كل أسبوع مسبقاً من هي الأسرة التي ينبغي أن تفوز. والآباء والأمهات يعلمون أن القرعة "مهيأة" مسبقاً، لكنهم لا يعلمون متى سيأتي دورهم في الفوز، ويتفقون على عدم إخبار الأبناء بذلك. وذلك لا يحافظ على عنصر المفاجأة بالنسبة للأطفال فحسب، بل يمنح أيضاً الآباء والأمهات مكانة إضافية.

وهناك عدد من برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية يستخدم نظام تقديم الهدايا الصغيرة. وقد تبين أن تلقي الهدايا طوال فترة البرنامج يكون أكثر قبولا إذا شعرت الأسر بأنها تستطيع الإسهام في البرنامج أيضاً. وفي هذا السياق، لوحظ أنه في حين أن بعض البرامج

تدفع بالفعل مبلغاً للأسر لكي تشارك فيها، فإن ذلك قد لا يكون بالضرورة مناسباً أو فعالاً أو قابلاً للاستمرار.

وهناك فكرة أخرى لتحسين فرص الاستبقاء وهي إشراك الأسر في الجلسات الخمس أو الست الأخيرة في التخطيط لحفل التخرج. ذلك أن جعل الآباء والأمهات والأبناء يشاركون بمواهبهم في حفل التخرج يزيد من الحماس والالتزام بشأن التخرج.

وبين الحين والآخر، لا بد من التسليم بأن الالتحاق بالبرنامج قد يكون أتي في وقت غير مناسب ليس أكثر للأسر معينة. ولذلك ينبغي دعم هذه الأسر في قراراتها بشأن تسخير طاقاتها لشؤون خاصة في أماكن أخرى، وينبغي تشجيعها على الالتحاق بالبرنامج في دورات لاحقة.

تحديد معايير التخرج من البرنامج

بالإضافة إلى جعل مسألة اجتذاب الآباء والأمهات واستبقائهم أحد المواضيع الرئيسية التي يركز عليها البرنامج، فإن من الضروري أن يُحدد في البرامج ما يعنيه "حضور" البرنامج وعدد الجلسات التي يجب على الأسر أن تحضرها لكي تتخرج. وقد يكون على قادة المجموعات النظر بالأحرى إلى مستويات الاستمرار في الحضور لا إلى وضع التخرج ليس غير. وقد تقدم بعض البرامج، على سبيل المثال، نوعين من "شهادات" التخرج، واحدة لأولئك الذين يحضرون حتى نهاية البرنامج، حتى لو غابوا عن نصف عدد الجلسات، وأخرى للذين يحضرون معظم الجلسات (٨٥ في المائة من الجلسات، على سبيل المثال). وتحدد بعض البرامج أشد العناصر أهمية، وتضع بالتالي الحد الأدنى من الجلسات التي يتعين على الآباء والأمهات حضورها للتخرج. وتتيح برامج أخرى إمكانية تعويض الغياب من حين إلى آخر وذلك بشرط قيام الأسر بالمزيد من المهام المنزلية أو القراءات أو بقبول زيارات الموظفين لمساعدتهم على استكمال درس (دروس) تغيبوا عنه.

ويشترط معظم برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية على المشاركين الحضور في موعد أقصاه بداية الجلسة الثالثة للبرنامج، وإلا فإنهم سوف يفوتهم الكثير. ومع ذلك، يسمح البرنامج، في بعض الظروف، للأسر بالعودة إلى البرنامج أو بالدخول والخروج من البرنامج في مناسبات مختلفة. فعلى سبيل المثال، في حالة مجتمعات السكان الأصليين في أستراليا، من الشائع أن تذهب الأسر في "جولات" تستغرق عدة أسابيع أو عدة شهور، وبالتالي تضطر لترك البرنامج. لكن هذا لا يعني أن هذه الأسر غير مهتمة، لأنها غالباً ما تنخرط في البرنامج مرة أخرى وتكملة بنجاح إذا ما أُتيحت لها الفرصة.

ومن المفيد أن تعلم الأسر أنها ستكون محل ترحيب عند عودتها إلى برنامج لاحق إذا كانت، لأي سبب كان، غير قادرة على الاستمرار في برنامج ما تسجلت فيه أصلاً. كما أنه ينبغي تطمين الأسر التي تكون احتياجاتها خارجة عن نطاق البرنامج المقدم، بأنها ستكون موضع ترحيب لحضور برنامج آخر في وقت أنسب.

سادسا- اختيار قادة المجموعات وتدريبهم ودعمهم

الاختيار الدقيق لقادة مجموعات يتمتعون بالكفاءة ويحفظون بالاحترام، ويكونون، حيثما أمكن، متوافقين ثقافيا مع المجموع، له أهمية حاسمة لنجاح تنفيذ أي برنامج للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية. ويؤدي التدريب والدعم اللذان يتسمان بالجودة إلى زيادة استعداد قادة المجموعات إلى تنفيذ البرنامج على النحو المقصود،^(٨٣) ويساعدان على ضمان الأمانة في الاقتباس من البرنامج الأصلي.^(٨٤) وهذا الفصل مكرس لمسألة التنفيذ الحاسمة الأهمية هذه.

اختيار قادة المجموعات

في مجال العمل الوقائي، أُجري القليل من الأبحاث على خصائص أو سمات قادة المجموعات التي تؤدي إلى نتائج أفضل. لكن يبدو أن هناك توافقا في الآراء في أن بعض الأشخاص يبرعون في القيام بمهمة قائد مجموعة للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية فيما لا يستطيع غيرهم القيام بذلك على نحو جيد. واتفق المشاركون في اجتماع المشاورة التقنية بشأن التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، الذي نظّمه مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، على أن الخصائص المرتبطة بقيادة المجموعات الناجحين هي التالية:

(أ) التعاطف؛

(ب) انفتاح الذهن؛

(ج) الحماس تجاه البرنامج؛

(د) الاستعداد لمساندة الأسر؛

(هـ) امتلاك مهارات جيدة على التواصل وعلى التعامل مع ثقافات مختلفة.

وبيّنت الأبحاث التي أجريت بشأن الملاءمة الثقافية لبرامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية أن نموذج القيادة المشتركة للمجموعة، أي وجود قائدين لكل مجموعة، هو نموذج فعال في أغلب الأحيان. فالقائد المتعاطف والحميم يتوصّل إلى بعض النتائج الإيجابية فيما يتمكن "قائد المهام العسيرة" والذي يدفع الأسر دفعا نحو إحداث تغيير إيجابي في سلوكياتها من التوصل إلى نتائج أخرى.^(٩٦) وثمة استراتيجية يمكن أن تساعد في تحديد الأشخاص الذين يُرجح أن يكونوا قادة جيدين للمجموعات، تتمثل في تدريب عدد من الأشخاص يزيد عن الحاجة. وهذا يتيح لمدير البرنامج استغلال دورات التدريب العملي في مراقبة قادة المجموعات المرتقبين في المستقبل واختيار الأفضل من بينهم.

M. Park and K. L. Kumpfer, "Characteristics of health educators contributing of improved outcomes",^(٩٦) dissertation, University of Utah, Salt Lake City, Utah, 2005.

وفي بعض البرامج، يمكن تدريب الآباء والأمهات الذين أكملوا البرنامج، أو طلبة الجامعات، ثم التعاقد معهم لوظيفة مساعد قائد مجموعة يعمل مع قائد مجموعة متمرس. وينبغي أن يوضع في الاعتبار أن احتمال التناوب بين المتطوعين يكون أكبر في حالة استخدام متطوعين ماهي عليه في حالة استخدام موظفين يتقاضون أجرا. ومن المهم أيضا النظر في الاحتياجات الإدارية واحتياجات الدعم في حالة المتطوعين والموارد الإضافية اللازمة لتنفيذ برنامج فعال مع المتطوعين.

تدريب قادة المجموعات

لا يتطلب معظم برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية قادة مجموعات حائزين على مؤهلات مهنية ذات صفة رسمية. ومع ذلك، فمن الواضح أن تدريب قادة المجموعات (سواء من الموظفين أو من المتطوعين) الذين سيعملون مع الأسر هو عامل حاسم. ولا بد من أن يفهم قادة المجموعات المفاهيم الجوهرية، ونموذج التغيير في البرنامج نفسه، لكي يشرحوا للأسر النموذج الأساسي للبرنامج وأنشطته والفوائد التي ستجنيها الأسر منه، ولكي يتمكنوا من توجيهها ودعمها خلال التدريب ومن تزويدها بالمعلومات ذات الصلة. كما يحتاج قادة المجموعات إلى معرفة كيفية اجتذاب الأسر للانضمام إلى البرنامج واستبقائها فيه، وكيفية رصد البرنامج، وكيفية ضمان جودته، وضمان الأمانة في الاقتباس الدقيق من البرنامج الأصلي أثناء التنفيذ.

وإذا كان البرنامج جديدا بالنسبة لمنظمة ما، فقد لا يتقبل الموظفون على الفور هذا الأسلوب الجديد في العمل مع الأسر. وقد يكون كثير منهم قد تدرّب على العمل مع الأفراد أو في برامج علاجية فحسب، وقد تكون خبرتهم في العمل في البرامج المخصصة للمجموعات أو للأسر ضئيلة أو معدومة. ومن الشائع أن تصدر اعتراضات من قبيل "لن يصلح هذا لعائلاتنا" أو "من الصعب جدا إشراك الآباء والأمهات". ولذلك قد يكون التدريب مفيدا لا في تزويد الموظفين بالمهارات اللازمة في مجال التعامل مع الأسر في برامج خاصة بالمجموعات فحسب، بل أيضا في إطلاعهم على نموذج التغيير المنشود في البرنامج، وعلى استخداماته السابقة ونتائج تلك الاستخدامات، وعلى البرنامج نفسه، وكيف يمكن أن يكون أداة وقائية قوية في مجتمعهم المحلي.

وقد يعتقد الموظفون أيضا أن العمل في برنامج ثبتت من قبل فعاليته يتطلب المزيد من الجهد. ذلك أن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية المثبتة فعاليتها تستغرق مدة أطول من أنشطة تثقيف الآباء والأمهات (وهي أكثر شيوعا)، وتحتاج إلى المزيد من الموظفين ومن الوقت، وهي أكثر تكلفة، مما يعطي الانطباع بأنها قد تحتاج إلى مزيد من العمل. ومن ثم ينبغي أن يركز تدريب قادة المجموعات على أن تنفيذ برنامج مثبتة فعاليته لا يعني المزيد من العمل، وإنما العمل بطريقة أفضل لأنها أكثر فعالية. ومن المهم بصفة خاصة تقديم أدلة تثبت ذلك من خلال الأبحاث والتقييمات السابقة لتوضيح هذه النقاط.

ومن الموصى به أن يحضر الموظفون الإداريون والمشرفون التدريب في نصف اليوم الأول على الأقل، الذي يُعرض خلاله عادة البرنامج ونتائج الأبحاث والتقييمات السابقة. وقد تبين أن ذلك يساهم في ضمان أن تأخذ المنظمة بكاملها البرنامج على محمل الجد. وتبين أيضا أنه من المفيد أن تُدعى منظمات أخرى في المجتمع المحلي يمكن الاستعانة بها للوصول إلى الآباء والأمهات والأسر إلى هذا الجزء الأولي من التدريب. وهنا، يذكر مرة أخرى أنه قد يكون من المفيد أيضا لمنظمي البرنامج الوصول إلى المتدربين المحتملين ومنظماتهم من خلال إجراء محادثات وعروض إيضاحية في اجتماعات أفرقة الموظفين في الأشهر والأسابيع التي تسبق التدريب.

وأخيراً، قد يكون تقديم تدريب برنامجي على أساس متعدد الهيئات مفيداً أيضاً كوسيلة لتعزيز التعاون المستمر والفعال بين الهيئات، لأنه قد يتيح الفرصة لتعزيز الشعور بوجود أهداف مشتركة.

مضمون التدريب

يتطلب معظم برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، أو يوصى فيها، توفير التدريب لقادة المجموعات المحتملين في المستقبل لفترة تتراوح بين يومين وثلاثة أيام ولعدد يتراوح بين ١٠ و ٣٠ شخصا منهم. وفي معظم الحالات، وخاصة في حالة برنامج يجري تنفيذه لأول مرة، فإنه من المستحسن في هذه المرحلة التماس المساعدة من معد البرنامج. وبصفة عامة، ينبغي أن تشتمل أي حلقة عمل تدريبية جيدة لقادة المجموعات على ما يلي:

- (أ) المفاهيم التي يقوم عليها البرنامج؛
- (ب) آليات البرنامج ومضمونه؛
- (ج) معلومات عن السبل الفعالة لاجتذاب الأسر واستبقائها؛
- (د) نصائح مفيدة وممارسات عملية في تيسير عمل المجموعات؛
- (هـ) المعايير الأخلاقية، والسرية، والنصائح المفيدة والممارسات العملية بشأن كيفية التعامل مع الحالات الحرجة.

وينبغي أن يرسخ التدريب لدى قادة المجموعات قيم احترام الآباء والأمهات واحترام خبراتهم. وينبغي أن يركز على تنمية معارف قادة المجموعات ومهاراتهم، وأن يتيح الوقت والفرص للممارسة العملية للمهارات المكتسبة وللمناقشة وملاحظات المدربين. وفي حين يمكن لقادة المجموعات الإسهام بقوة في ملاءمة مواد البرنامج مع الواقع الثقافي، فإنه لا حاجة إلى القول بأن تدريبهم يجب أن يراعي حساسية الخصائص الثقافية ويتكيف معها. وكما ذكر من قبل، فإنه من المفيد إضافة لمحة عامة عن نتائج الأبحاث والتقييمات السابقة التي تسلط الضوء على فعالية برنامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية في أوساط مجموعات سكانية مستهدفة متماثلة.

وينبغي أن يُستكمل ذلك بمناقشة أهمية ضمان الأمانة في تطبيق البرنامج بدقة، وسبب أهمية جمع معلومات الرصد والتقييم. ولن يتقبل الموظفون بالضرورة غريزي ثقافة تقوم على الرصد والتقييم المتواصلين. فقد يشعرون بأن الاستمرار في الرصد والتقييم سوف يُستخدم لفحصهم وتقييمهم هم فقط وليس لتحسين البرنامج، وبأن جمع تلك المعلومات هو عمل إضافي لا ضرورة إليه. وهذه المشاعر مفهومة ومن المهم استبقائها وتوفير الوقت والموارد اللازمة لتبديد هذه المخاوف، وتوضيح ما هو منتظر من قادة المجموعات، ومناقشة السبب الذي يجعل هذه الجهود المستمرة لتحسين النوعية حاسمة الأهمية بالنسبة لتنفيذ البرنامج.

دعم قادة المجموعات والإشراف عليهم وتقديم المساعدة التقنية لهم

بصفة عامة، لا تُعد حلقة العمل التدريبية الأولية كافية لضمان التنفيذ الفعال، وينبغي أن تُستكمل بالدعم والإشراف المستمرين، واللذين ينبغي أن تقدمهما المنظمة المنفذة، وذلك بمساعدة شخص مرخص له بذلك من قبل معد البرنامج أو حتى من دون هذه المساعدة.

وقد يكون وجود مشرف في موقع التنفيذ يعمل مع قادة المجموعات جزئياً على الأقل أفضل سبيل لتقديم الدعم، وضمان الأمانة والجودة في التنفيذ، وجمع بيانات الرصد. ويحضر المشرف على الموقع بانتظام جلسات التدريب ويرأس الجلسات التي يجري فيها استخلاص المعلومات والملاحظات من قادة المجموعات من أجل مناقشتهم وتبادل خبراتهم فور انتهاء الجلسات. وقد تبين أن استخلاص المعلومات والملاحظات مفيد ليس لضمان جمع بيانات الرصد فقط، وإنما لتوفير الدعم الفوري أيضاً لقادة المجموعات من خلال مناقشة نقاط الضعف والقوة التي لوحظت خلال الجلسة، وللتخطيط للجلسات اللاحقة.

ويؤثر بعض معدّي البرامج الإشراف من خلال زيارات ميدانية يقومون بها. فعلى سبيل المثال، يسافر معدّو البرامج إلى مواقع تنفيذ البرامج لحضور الجلسات حيث يستخدمون قوائم مرجعية موحدة بشأن تقدير الأمانة في الاقتباس من البرنامج الأصلي، بما في ذلك تقدير درجة جودة التنفيذ. ويقضي زائر الموقع الموفد من ذلك البرنامج بعض الوقت مع قادة المجموعات، ويقدم لهم نصائح مفيدة بشأن تحسين الأمانة والجودة في التنفيذ. ويمكن أن تكون هذه الزيارات مفيدة، وبخاصة خلال التنفيذ الأول لبرنامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، لكنها قد تكون مكلفة لمديري البرامج، وينبغي التفاوض بشأنها مع معدّي البرامج قبل بدء عملية الملاءمة والتنفيذ.

وقد يكون من البدائل التي هي أقل تكلفة توفير الإشراف والدعم عن طريق الاتصالات الهاتفية العادية أو عن طريق محادثات تجري عبر شبكة الانترنت مع معدّ البرنامج. وعادة ما يجري توفير ذلك إلى مجموعة من الأشخاص تنفذ البرنامج نفسه في الوقت نفسه؛ أو قد تُتاح للمشرفين عليهم في الموقع أو للمشرفين الزائرين للموقع ميزة إضافية في إنشاء شبكة من مديري ومنفّذي البرامج من أجل مواصلة تبادل الخبرات والاقتراحات وسبل الدعم.

وفي بعض الحالات، انتقل معدّو البرامج من أسلوب تدريب قادة المجموعات إلى أسلوب استصدار شهادات الاعتماد من المنظمات المعنية. وقد لجأ آخرون إلى عملية مستقلة لإصدار شهادات الجودة، مثل شهادة الاعتماد الصادرة عن المنظمة الدولية للتوحيد القياسي (إيزو). وهذه الشهادات تقدمها هيئة مستقلة تقوم بدراسة هيكل المنظمة وعملياتها وأعمالها خلال عملية إصدار شهادة الاعتماد. وفي الحالتين كليهما، تكون عملية إصدار شهادة الاعتماد شاملة؛ وتبين أنها تحسن فعالية المنظمة المعنية ومستوى النجاح لديها في الحصول على دعم المانحين. لذلك فقد يشكّل هذا مساهمة هامة في استدامة برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية في الأجل الطويل.

سابعاً- رصد برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، وتقييم هذه البرامج وضمان استدامتها

لا تختلف مسائل الرصد والتقييم والاستدامة المرتبطة ببرامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية اختلافاً كبيراً عن هذه المسائل ذاتها المرتبطة بالبرامج الأخرى الخاصة بالوقاية من تعاطي مواد الإدمان وبرامج تعزيز الصحة. ويورد هذا الفصل عدداً قليلاً من النقاط الأساسية، وبخاصة ما يتعلق منها على وجه التحديد ببرامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية أو بالعلاقات بين مديري البرامج الذين ينفذون برنامجاً مثبتة فعاليته وضعه معدّ برامج آخر ويقومون بعملية ملاءمته مع واقع البلد. ويمكن للقارئ المهتم الاطلاع على مزيد من المناقشات المستفيضة لعملية الرصد والتقييم الخاصة بالمنظمات غير الحكومية ذات الموارد المحدودة نسبياً، في الكتيّب الصادر عن مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة بعنوان مراقبة وتقييم برامج وقاية الشباب من تعاطي مواد الإدمان.^(٨٩)

رصد البرامج

توفّر البرامج المثبتة فعاليتها أدوات رصد لجمع المعلومات الضرورية في نهاية كل دورة. ومن الضروري تدريب قادة المجموعات على كيفية استخدام هذه الأدوات بوصفها أدوات لاستخلاص المعلومات والملاحظات خلال التدريب، وبدعم من المشرفين، حسبما ورد في الفصل السادس. وتشمل هذه الأدوات، في الحد الأدنى، سجلات حضور المشاركين وقوائم مرجعية للإبلاغ عن عناصر الجلسة التي قدّمت كما كان مقرراً (القوائم المرجعية الخاصة بمراقبة الأمانة في الاقتباس من البرنامج الأصلي). وتتطلب هذه الأدوات في كثير من الأحيان من قادة المجموعات توثيق أفكارهم بشأن المسائل التالية:

- (أ) ما جرى على ما يرام، ولماذا؟
- (ب) ما لم يجر على ما يرام، ولماذا؟
- (ج) هل كانت الملاءمة مع الواقع الثقافي أو المحلي مجدّية؟
- (د) هل ظهر أي شيء هام للبحث، عن المناقشة فيما يخص كل أسرة بمفردها؟
- (هـ) هل تحتاج أي أسرة بمفردها إلى الإحالة للحصول على خدمات إضافية؟
- (و) ما هي التوصيات الخاصة بتحسين تنفيذ البرنامج التي ينبغي الانتباه لها في المستقبل؟
- (ز) ما هو المطلوب تحضيره للجلسة اللاحقة؟

وسوف تشكّل البيانات التي تُجمع خلال عملية الرصد أساساً لتقييم العملية، الذي سوف يجرى في نهاية البرنامج. ومع ذلك، من المهم أن يشمل البرنامج أيضاً آلية سريعة لاستعراض ومناقشة بيانات الرصد في فترات منتظمة خلال التنفيذ (مرة في الشهر على سبيل المثال) لتسهيل التحسين المستمر للجودة من خلال تحديد وإيجاد الحلول الممكنة للمشاكل التي تواجه خلال تنفيذ العملية.

تقييم تنفيذ البرامج

المعلومات التي تُجمع أثناء تنفيذ البرنامج من خلال عملية الرصد (مثل سجلات الحضور، ومعدلات التسرب والقوائم المرجعية الخاصة بفحص الجودة/الأمانة في الاقتباس ووثائق استخلاص المعلومات والملاحظات)، والتي تُكَمَّل بالتعليقات والملاحظات من المشرفين، وكذلك المشاركين، بشأن التحسينات الممكنة، لها أهمية بالغة في جعل عملية التقييم مجددة. ويمكن كذلك اتباع وسائل بحث نوعية فيما يتعلق بجزء من عملية التقييم على الأقل من أجل الإجابة عن الأسئلة التي قد لا تقدّم عمليات تقييم تأثير البرنامج أجوبة عنها.

ويوجّه تقييم العملية النظر إلى عملية تنفيذ البرنامج، ويركّز على ما تم القيام به وعلى كيفية القيام به، وكذلك على ما إذا كان البرنامج قد نُفِّذ وفقاً للخطة الموضوعية. وفي الحد الأدنى، تعتبر نتائج تقييم عملية التنفيذ مفيدة في التحسين المستمر لتنفيذ البرنامج. وإذا كانت نتائج تقييم التأثير تختلف عن النتائج التي يتم التوصل إليها عادة، تكون عندئذ بيانات تقييم العملية مفيدة جداً في تحديد ما يمكن أن يكون قد تسبّب في إحداث تغييرات في النتائج.

وأخيراً، إذا تم تنفيذ برنامج ما مع مجموعة سكانية مشابهة للمجموعة السكانية المستهدفة من إعداد البرنامج أصلاً، وإذا أكدت بيانات تقييم العملية وجود درجة عالية من الأمانة في الاقتباس من البرنامج الأصلي، فإن ذلك قد يساعد في تدعيم أدلة إثبات فعالية البرنامج ويوفّر المعلومات لذلك، حتى وإن لم يكن تقييم التأثير قد تمّ بناءً على أساس منهجية صارمة علمياً.

ومن المفيد في كثير من الأحيان تعيين موظف متخصص في مجال التقييم يُكَلِّف بتجميع وتفسير بيانات تقييم العملية. ومع أن تعيين موظف خارجي متخصص في مجال التقييم يضيف مزيداً من المصداقية على أي تقييم، فإنه في حال عدم وجود هذا الاختصاصي أو عدم التمكن من تحمل تكاليف خدماته أو إذا كان استخدام هذا الشخص غير ممكن، فإنه يمكن إذ ذاك أن يضطلع بتقييم العملية موظفو البرنامج أنفسهم، بل ينبغي لهم الاضطلاع بذلك. ذلك أنه حتى عندما يضطلع موظفو البرنامج بهذا التقييم على نحو منتظم وشفاف، ويعرضونه في صيغة تقرير واضح وسهل الاستعمال، فإن ذلك قد يساعد كثيراً في تحسين نتائج البرنامج وعرضها.

تقييم تأثير البرامج

لا ينصبّ التركيز الأساسي لتقييم التأثير على عملية التنفيذ، بل على تأثير التنفيذ في النتائج المستهدفة بالنسبة للسكان المعنيين. ويمكن تصميم أسلوب تقييم التأثير بطرق كثيرة ومختلفة. ففي أفضل الحالات، يُستخدم أشدّ الأساليب صرامة (اختبار موجه تُستخدم فيه عينات عشوائية) في جميع التقييمات، مما يسمح

بتجميع أدلة ثبوتية على أعلى مستوى من الدقة. بيد أن الاضطلاع بهذه التقييمات مكلف ومعقد، وسوف يتعين على مديري البرامج أن يحددوا أنسب الأساليب لهذا الغرض، مع مراعاة الظروف المحيطة بالبرنامج والموارد المتاحة له. وعندما يتم، على سبيل المثال، تنفيذ برنامج على نطاق واسع أو على الصعيد الوطني، فمن المهم التعاون في العمل مع المؤسسة البحثية الأنسب أو مع إحدى الجامعات لضمان رصد صارم وعملية تقييم صارمة مع مجموعة (مجموعات) المراقبة.

وأما إذا كان مديرو البرامج ينفذون برنامج تدريب على اكتساب المهارات الأسرية أُعد من نقطة الصفر، أو إذا كانوا يستخدمون برنامجا مقتبسا لم يتم تقييمه بدقة في أي مكان آخر، فإن تصميم أسلوب البحث الصارم ليس أمرا مرغوبا فيه فحسب بل هو أمر ضروري أيضا. لكن، وكما ذكر سابقا، فإن إعداد أي برنامج للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية ينبغي أن يستند إلى النظريات القائمة في هذا المجال، وإلى تقييم لعوامل الخطورة وعوامل الوقاية الفاعلة فيما يتعلق بالمجموعات السكانية المستهدفة. وينبغي أن تضطلع بهذه العملية مؤسسة أبحاث تكون في وضع يؤهلها لتحديد ما يلزم من أدوات التقييم ومن تطويرها وإثبات صحتها، وكذلك تصميم منهجية البحث. وينبغي ألا يُنفذ هذا النوع من التقييم من دون مساعدة من المؤسسات البحثية المتمرس.

ويُفضل أيضا التصميم الدقيق لمنهجية الأبحاث، وبالتالي إشراك مؤسسات أبحاث في ذلك، في الحالات التي يقوم فيها مديرو البرامج بتنفيذ برامج مثبتة فعاليتها وكانت معدة في أماكن أخرى، وتمت ملاءمتها مع الظروف المحلية. وللأسف، لا يمكن افتراض أن البرنامج الذي تم تقييمه واعتبر فعالا في بعض الظروف الثقافية والاجتماعية-الاقتصادية سيكون فعالا في ظروف مختلفة، حتى إذا تمت ملاءمته على نحو يحترم هذه الظروف. ولذلك، فإن التدابير والتحليلات القادرة على تحديد أسباب نجاح أو إخفاق البرنامج ضرورية، وإن موظفي التقييم المتخصصين هم أصلح من يقوم بهذه المهام.

وربما تكون أدوات الرصد والتقييم قد وضعت خصيصا للبرامج التي ثبتت فعاليتها؛ فلا بد كذلك عندئذ من ترجمة هذه الأدوات وملاءمتها وتجريبها. وكما ذكر من قبل، ينبغي أن يكون موظف التقييم جزءا من الفريق المكلف بعملية الملاءمة وذلك لضمان صحة ترجمة الأدوات وجعلها ملائمة لواقع الحال. ومزية استخدام هذه الأدوات أن صحتها قد أثبتت من قبل في تقييم نتائج البرنامج. ومن ثم فإن إعادة استخدامها تسهل مقارنة النتائج بين المجتمعات المحلية، وتيسر بالتالي تعزيز أدلة الإثبات.

في بعض الحالات يمكن التفاوض مع معدّي البرامج للحصول على دعمهم في تحليل نتائج عمليات تقييم التأثير. فعلى سبيل المثال، يمكن استخدام الوسائل الإلكترونية في إرسال البيانات الأولية من الدراسات الاستقصائية التي استخدمت في تنفيذها أدوات التقييم، أو يمكن إدخال هذه البيانات مباشرة في قواعد البيانات على شبكة الإنترنت. ويمكن بعد ذلك لمعد البرنامج أن يجري تحليلات إحصائية ويقدم تقريرا، يقارن فيه أحيانا النتائج لدى المجموعات المستهدفة المتماثلة. وقد يكون ذلك مفيدا في الحالات التي يُعتبر فيها أن من غير الممكن إجراء تقييم للتأثير يشمل مجموعة معينة بالمراقبة. ومع أن لهذه الخدمة تكلفة ما، فإن من الممكن في كثير من الأحيان التفاوض بشأنها، لأن معدّي البرامج يستفيدون أيضا من العملية من خلال تلقي بيانات مقارنة عن النسخ المختلفة من اقتباس برامجهم. ومع ذلك، من المفيد التذكير بأنه قد تكون هناك مزايا إضافية (في المطالبة بتمويل، على سبيل المثال) عندما يكون موظف التقييم مستقلا عن كل من معد البرنامج والمنظمة المنفذة.

من الأمور ذات الأهمية الحيوية حماية البيانات الخاصة بالمشاركين في البرنامج واتخاذ تدابير تضمن السرية للأسر. فعلى سبيل المثال، ينبغي أن تحمي نظم البيانات على شبكة الإنترنت هذه البيانات بحيث لا تُتاح إمكانية الوصول إلى الرموز الخاصة بتعريف هوية كل أسرة من الأسر إلا لفرد واحد هو قائد المجموعة أو لشخص آخر يتولى إدخال البيانات. وينبغي ألا يُسمح للموظفين الآخرين، بمن فيهم مديرو البرامج ومعدّوها، إلا بالوصول إلى البيانات المجمعة فقط. وأما جميع الأشكال الأخرى من البيانات، فيجب حمايتها.

وتمثل أدلة الإثبات الدنيا الموصى بها لتقييم التأثير في مقارنة تقييم الفئات السكانية المستهدفة قبل التنفيذ وبعده. وينبغي التأكيد على أن أدلة الإثبات التي سيقدمها هذا النوع من التقييم ليست قوية، لأنه لا يمكن التأكد من أن التأثير يرجع إلى البرنامج نفسه فعلاً، أو من أن النتائج الإيجابية، أيا كانت، سوف تستمر على مدى الزمن. وهناك أمور أخرى كثيرة، بمعزل عن البرنامج نفسه، قد تكون أثرت في محصلة النتائج. غير أن هذا التقييم يمكن مع ذلك أن يوفر مؤشراً يدل على تنفيذ البرنامج وفعالته. علاوة على ذلك، وكما ذكر من قبل، إذا تم تنفيذ البرامج بأمانة شديدة في الاقتباس عن البرنامج الأصلي وفي ظروف مماثلة للظروف الأصلية وجاءت النتائج متشابهة، يمكن إذذاك الاستنتاج بقدر معقول من اليقين أن ما تم التوصل إليه كان نتيجة للبرنامج.

هنالك نمط آخر في تقييم التأثير أكثر استحساناً لكنه قطعاً أكثر تطلباً، من شأنه أن يشمل المقارنة بين مجموعة من الأسر تمت متابعتها منذ البداية بحيث يُتاح المجال للحصول على نتائج أكثر دقة بشأن فعالية البرنامج. وهذا يعني إشراك مؤسسة أبحاث في العملية نفسها وفي التخطيط الدقيق للمنهجية وتحليل النتائج. وسيكون من المهم أيضاً ضمان متابعة الأسر ومعاودة قياس مدى التأثير مرة أخرى بعد سنة أو سنتين لمعرفة ما إذا كان للبرنامج تأثير على سلوك الأطفال في الوقاية من تعاطي مواد الإدمان وهم يكبرون في السن.

وفي هذا النوع من التقييم، من المهم بصفة خاصة تجريب أساليب مختلفة واستخدامها في جمع البيانات عن المؤشر نفسه من مصادر مختلفة، بهدف التوصل إلى تكوين صورة أكثر دقة عما تم إنجازه. فعلى سبيل المثال، عندما يُجرى استقصاء في مرحلة ما قبل التنفيذ، لن يُبلغ كثير من الآباء والأمهات عن اتباعهم ممارسات تربوية سلبية، في حين أنهم قد يفعلون ذلك خلال الاستقصاء في فترة ما بعد التنفيذ. وإذا كان التقييم لا يستند إلا إلى المقارنة بين الردود في الاستقصاءات السابقة للتنفيذ واللاحقة له المستخلصة من هؤلاء الآباء والأمهات، فقد يتبين أن محصلة نتائج البرنامج سلبية، في حين أن مهارات الآباء والأمهات التربوية قد تكون تحسّنت كثيراً. وقد لا يبلغ الآباء والأمهات في بعض الأحيان عن ممارساتهم التربوية بدقة خلال الدراسة الاستقصائية السابقة للتنفيذ لأنهم لا يدركون تماماً مفاهيم التربية الوالدية التي يُسألون عنها. لكن أجوبتهم قد تكون أكثر دقة بعد إتمام البرنامج، لأن إدراكهم لمفاهيم التربية الوالدية في حالتها الأبوة والأمومة يكون قد تحسّن. وهذا مثال آخر على أن النتائج المستمدة من الدراسة الاستقصائية قد تكون سلبية بالنسبة إلى محصلة البرنامج، في حين أن الوضع يكون قد تحسّن في الواقع. وهكذا، فإن استكمال نتائج الاستقصاءات من هذا القبيل بنتائج الأساليب الأخرى (على سبيل المثال، ملاحظة الآباء والأمهات في الصف والتقارير المستندة إلى أقوال الأطفال) من شأنه أن يتيح لمدير البرنامج تكوين صورة أكثر دقة عن كيفية تغير الوضع.

علماً بأن إجراء تقييم بسيط للتأثير من هذا النوع يجب ألا يكون عملية معقدة، وخصوصاً أن أدوات التقييم ينبغي أن تكون متاحة بسهولة في مجموعة مواد وأدوات البرنامج المثبتة فعاليتها. ويمكن القيام بهذا التقييم من

دون مشاركة اختصاصي التقييم و/أو مؤسسة أبحاث، لكن يجب على مديري البرامج ضمان ما يكفي من الوقت والموارد لتقييم التأثير.

ضمان استدامة البرامج

لا بد من تأمين التمويل الدائم من أجل ضمان استدامة البرنامج. وهذا يصح بصفة خاصة في المراحل الأولى من عملية ملاءمة برنامج جديد للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية، إذ من المرجح أن يستغرق الأمر بعض الوقت إلى حين الوصول إلى أعلى مستوى في اجتذاب الآباء والأمهات والأسر.

ومن الأهمية بمكان أن تكون المنظمات التي تسعى إلى تنفيذ البرامج المثبتة فعاليتها في التدريب على اكتساب المهارات الأسرية ابتكارية في سعيها إلى الحصول على التمويل والدعم. وينبغي الاعتراف بأن الحصول على تمويل طويل الأجل لبرنامج ما ليس بالأمر الممكن دوماً، وبأن إيجاد تمويل قصير الأجل (ومستمر) والتفاوض بشأنه قد يكون الخيار الوحيد المتاح. وترد أدناه مناقشة موجزة عن مصادر التمويل الممكنة.

المنح والعقود من السلطات الحكومية المحلية

من المفيد القيام برصد مستمر، إما عن طريق الاتصال بالأشخاص و/أو عن طريق الإنترنت، لكيفية تغير السياسات العامة الحكومية وكيفية تأثير ذلك على التمويل المحتمل (سلباً وإيجاباً). وفي هذا الصدد، من المهم التذكير بأن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية هي برامج فعالة فيما يتعلق بطائفة من أنماط السلوك الإشكالية المختلفة ومن اضطرابات السلوك، ولذلك يمكن أن تعتبر مفيدة لدى العديد من القطاعات المختلفة (مثل القضاء والتعليم والصحة العقلية).

مصادر التمويل من القطاع الخاص

قد يكون العديد من الشركاء في القطاعين الخاص والأهلي في المجتمع قادرين على تقديم الدعم العيني فيما يخص وجبات الطعام وأماكن العمل والنقل والمواصلات والهدايا الصغيرة الحافزة على الحضور، وغيرها من تكاليف البرنامج. وعند البحث عن التمويل أو الدعم، قد يكون من المفيد الاتصال بالأشخاص ذوي النفوذ في المجتمع الذين لهم مصلحة شخصية في موضوع وقاية الشباب و/أو الأسر من تعاطي مواد الإدمان. ولا بد من أن نضع في الاعتبار أنه قد يكون من الصعب مفتوحة الأفراد مباشرة بهذه المسألة، وذلك بسبب وصمة العار والمشاعر السلبية المرتبطة بقضايا تعاطي المخدرات. ومن ثم فإن من الصعب جداً إيجاد مصادر تمويل من القطاع الخاص، وليس من الشائع أن يقدم القطاع الخاص، منحا في هذا المجال كالتالي يقدمها للأبحاث الطبية أو لعلاجات طبية أخرى.

المتطوعون

إن من شأن الدعم الذي يقدمه المتطوعون بالعمل في تنفيذ البرامج ورعاية الأطفال والنقل وإعداد وجبات الطعام، أن يقلص تكاليف برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية. فالأوساط الدينية مصدر جيد للدعم التطوعي في القيام برعاية الأطفال وإعداد الوجبات. وفي بعض الأحيان، يمكن لطلاب الكليات والمدارس الثانوية تقديم الدعم لقادة المجموعات في تنفيذ البرامج.

ومن المهم، مع ذلك، أن نحاول التأكد من أن رغبة المتطوعين في المشاركة في البرنامج إنما هي بدافع الأسباب الحقيقية الخاصة بهذه البرامج، وينبغي أن تكون الإجراءات المتبعة في الاتفاق معهم على تقديم خدماتهم مشابهة للإجراءات المتبعة في التعاقد مع موظفي البرامج الآخرين، بما في ذلك المقابلات، وإمكانية التحقق من المعلومات الأساسية عن كل منهم. وينبغي أيضاً أن يتدرب المتطوعون بالطريقة نفسها المطبقة في تدريب غيرهم من الموظفين، وذلك لضمان تمكّنهم من فهم البرنامج ومن تقديم المساعدة والمشاركة على نحو كامل.

مساهمات المشاركين

يساهم المشاركون أحياناً بتقديم وجبات الطعام، إذا ما سمحت بذلك قواعد وقوانين الولاية أو البلد. وفي الواقع، يُعتبر في العديد من الثقافات أن تقاسم الغذاء أمر مهم لتحسين القبول في المجموعة. ومن المهم أيضاً أن يشعر المشاركون بأن لديهم مصلحة في البرنامج، ومن المفيد في بعض الثقافات تشجيع الأسر المشاركة على المساهمة على نحو ما، حتى وإن كانت المساهمة غير نقدية. وقد تبين أن ذلك ممكن حتى في المجتمعات المحلية والأسر الفقيرة الحال نسبياً أو المعرضة للمخاطر. ومع ذلك، ينبغي الحرص على ضمان ألا تصبح المساهمات، عينية كانت أم نقدية، مصدراً للعبء أو سبباً للإقصاء أو الوصم على أي نحو.

ثامنا - موجز عن فعالية برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، ومبادئها وفوائدها

فعالية برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية

تستطيع الأسر أن تؤدي دورا تكون فيه عنصر قوة فعال في حماية النمو الصحي لدى الأطفال والمراهقين. فقد تبين أن الارتباط القوي بين الآباء والأمهات من جهة والأبناء من جهة أخرى، والتربية الداعمة والإشراف والرصد والتأديب الانضباطي الفعال تؤدي جميعها إلى التقليل من الضلوع في السلوكيات الإشكالية والخطرة خلال سنوات المراهقة. كما تبين على وجه الخصوص، أن بإمكان الآباء والأمهات أن يكونوا عاملا قويا في وقاية الأطفال والمراهقين من تعاطي مواد الإدمان.

وتهدف برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، الشاملة منها والانتقائية، عموما إلى تعزيز العوامل الوقائية داخل الأسر، وتزويد الآباء والأمهات بالمهارات اللازمة لضمان التنشئة المساندة والإشراف والرصد والتأديب الانضباطي الفعال، وتوفير الفرص والمهارات للأسر بأجمعها في سبيل تعزيز الارتباط بين الآباء والأمهات والأبناء. وهذه النهج أكثر كثافة وتختلف عن تثقيف الآباء والأمهات والتي تنحصر عادة في تزويدهم بمعلومات عن مواد الإدمان وعن أثارها.

وقد تم تقييم برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية على نطاق واسع، وتبين أنها فعالة في الوقاية من تعاطي مواد الإدمان وغيرها من أنماط السلوك المحفوفة بالمخاطر. وتبين على وجه الخصوص أن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية أكثر فعالية بثلاثة أضعاف تقريبا من برامج تعليم المهارات الحياتية المخصصة للأطفال والشباب دون غيرهم، كما تبين أن نتائجها تدوم مع مرور الزمن. وعلاوة على ذلك، تشير التقديرات المتحفظة لفعالية هذه البرامج من حيث التكلفة على المدى الطويل إلى أنه في مقابل كل دولار يُنفق، يتم توفير تسعة دولارات.

تبين أيضا أن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية فعالة باعتبارها جزءا من برنامج متعدد المكونات يقدم أنشطة تدخل أخرى في بيئات أخرى (مثل المدارس ووسائل الإعلام والمجتمع المحلي)، وباعتبارها برامج متدرجة المستويات، أي برامج توفر خدمات على مستويات مختلفة متعددة من الوقاية على نحو متزامن وفقا لاحتياجات الأسر (البرامج الشاملة والانتقائية والمحددة).

ومع أنه لا يزال من الضروري القيام بالكثير من البحث، وأن قاعدة أدلة إثبات فعالية البرامج تقتصر على عدد قليل نسبيا من البرامج المدروسة في البلدان ذات الدخل المرتفع، فإن من الممكن التعرف بوضوح على خصائص البرامج الفعالة للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية، إضافة إلى أن هذه المعرفة توفر مبادئ توجيهية مفيدة لمقرري السياسات العامة ومديري البرامج الساعين إلى تطوير أو تنفيذ برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية.

مبادئ برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية

ينبغي أن تستند برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية إلى أساس متين من الناحية النظرية يبين كيفية الحد من عوامل الخطورة وتنمية عوامل الحماية وتعزيزها. وإضافة إلى استناد هذه البرامج إلى أساس نظري، ينبغي أن تقوم بأكبر قدر ممكن على أدلة إثبات لفعاليتها تستمد من الأبحاث الأكاديمية الخاصة بعوامل الخطورة وعوامل الوقاية في تعاطي مواد الإدمان، والتي يمكن معالجتها على مستوى الأسرة، كما ينبغي أن تحدّد كيفية حدوث التغيير. ينبغي أيضاً أن تستند هذه البرامج إلى نظرية قائمة على أدلة تثبت صحتها بشأن التغيير تدعمها أدلة إثبات علمية تبين كيفية الحد من عوامل الخطورة وتطوير عوامل الحماية وتعزيزها من خلال هذا التدريب.

وينبغي أن تكون برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية متوافقة مع السمات الخاصة بالفئات السكانية المستهدفة، مع التركيز خصوصاً على سنّ الأطفال ومرحلة نهمهم ومستوى المخاطر أو المشاكل في الأسر المعنية. ولذلك، لا بد من تقدير الاحتياجات بحيث يكون استحداث برنامج ما، أو اختيار برنامج ثبتت فعاليته بغية تكراره، قائماً على فهم دقيق للأوضاع.

ويجب أن تكون البرامج الفعالة للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية مكثّفة بقدر كاف وأن تُتاح لها المدة الكافية، من حيث البنية والمضمون، من أجل بلوغ النتائج المستهدفة. وبصفة عامة، تشمل البرامج الشاملة للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية ما بين أربع وثمانين جلسة، في حين أن البرامج الانتقائية المخصصة للأسر المعرضة لمخاطر أكبر تشمل عادة ما يتراوح بين ١٠ جلسات و ١٥ جلسة. وفي الحالتين كليهما، تبلغ مدة كل جلسة ساعتين إلى ثلاث ساعات. وعلاوة على ذلك، ينبغي أن تستند الدورات إلى التقنيات التفاعلية بين مجموعات صغيرة من الأسر (٨-١٢). وعلى الرغم من أن مضمون البرامج يختلف اختلافاً كبيراً، فإن البرنامج النمطي والفعال هو البرنامج الذي يزود الآباء والأمهات بالمهارات اللازمة ويتيح لهم الفرص الكافية لتعزيز العلاقات الأسرية الإيجابية، وتعزيز الإشراف والمراقبة من جانب الأسر، وتحسين نقل القيم الأسرية وتحسين التوقعات المنشودة.

أما اجتذاب واستبقاء الآباء والأمهات فهما عقبتان كبيرتان تعرقلان نشر برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية. ومع ذلك، تشير الأبحاث إلى أن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية قد تحقّق معدّلات استبقاء تزيد عن ٨٠ في المائة بناءً على معالجة العقبات العملية (النقل ورعاية الأطفال) والنفسية (الخوف من وصمة العار ومشاعر اليأس) التي تحول دون اجتذاب الآباء والأمهات للانضمام إلى هذه البرامج واستبقائهم فيها. غير أن هذه التدخلات الاجتماعية إنما تكون أكثر فعالية، على وجه الخصوص، إذا كان المشاركون مستعدين للتغيير، وذلك مثلاً إبّان مراحل تحول رئيضية (التحاق الأطفال بالمدرسة أو انتقالهم إلى مرحلة دراسية جديدة).

وينبغي اختيار برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية بناءً على مستوى إثبات فعاليتها. ففي كثير من الحالات، قد يكون وضع برنامج جديد للتدريب على اكتساب المهارات الأسرية غير ممكن أو غير فعال من حيث التكلفة. ولعلّه من المنطقي اللجوء إلى عملية ملاءمة برنامج تمّ وضعه في مكان آخر من أجل مجموعة سكانية مشابهة. وفي هذه الحالة، من المهم اختيار البرنامج الذي أثبتت فعاليته بأعلى مستوى والعمل على ملاءمته مع الاحتياجات الثقافية وتكييفه مع الاحتياجات الاجتماعية الاقتصادية لدى الفئات السكانية المستهدفة، من خلال عملية دقيقة ومنظمة تخصّص لها الموارد الكافية. وقد تبين أن عمليات ملاءمة البرامج وتكييفها التي تراعي الواقع الثقافي تعزّز اجتذاب الأسر إليها واستبقائها فيها.

ويوصى بشدّة بتنفيذ البرنامج من دون تغيير في مضمونه وبنيته، باستثناء الاقتصار على الحد الأدنى من الملاءمة الثقافية (على سبيل المثال، الترجمة الدقيقة وإدخال أنشطة وأغان وقصص وأسماء مناسبة ثقافياً، وما إلى ذلك) خلال المرحلة الأولى من استخدام البرنامج. وينبغي أن يشتمل هذا التنفيذ، القائم على أقل قدر من الملاءمة، في مكوناته على عنصر قوي خاص بالرصد والتقييم من أجل تقدير فعالية الملاءمة، فضلاً عن الحاجة المحتملة إلى عملية ملاءمة أكثر عمقا فيما بعد.

أما الحاجة إلى التدريب اللازم على تنفيذ برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية فهي لا تختلف عن التدريب اللازم لغيرها من برامج الوقاية من تعاطي مواد الإدمان وبرامج التدريب على اكتساب مهارات أخرى، ولا بد من توفير التدريب الملائم والدعم المستمر للموظفين المختارين بعناية. ويتطلب معظم البرامج المثبتة فعاليتها يومين أو ثلاثة أيام لتدريب عدد من الأشخاص يتراوح بين ١٠ و ٣٠ شخصا لكي يصبحوا قادة مجموعات في المستقبل. وينبغي أن يتيح التدريب لقادة المجموعات هؤلاء الفرصة لممارسة مهاراتهم، وكذلك أيضا لمناقشة الأسس النظرية وأدلة إثبات الفعالية والقيم المنشودة في البرنامج. كما يؤدي الدعم المستمر من جانب مديري البرامج والمشرفين عليها (ومن معدي البرامج، إذا كان ذلك ممكنا ومناسبا)، وخاصة في شكل زيارات ميدانية، وجلسات استخلاص معلومات وملاحظات، إلى تحسين نوعية التنفيذ والأمانة في الاقتباس من البرنامج الأصلي، وكذلك إلى جمع بيانات رصد شاملة.

وأخيرا، ينبغي أن تتضمن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية مكونات منهجية خاصة بالرصد والتقييم. ذلك أن عمليات التقييم تسهم في فهم استراتيجيات الوقاية، وتبين ما هي البرامج الفعالة في التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، وفي أي الظروف المحيطة ولأي الفئات السكانية تحقق فعاليتها. ويتسم هذا بأهمية خاصة بالنسبة إلى البلدان المنخفضة الدخل والبلدان المتوسطة الدخل أيضاً، والتي نادرا ما تتوفر بشأنها أدلة إثبات لفعالية هذه البرامج. ومن ثم، فإن بيانات التقييم هذه تقدم أدلة إثبات الفعالية التي تشتد الحاجة إليها وذلك للاستفادة منها في الدعوة إلى مناصرة هذه البرامج في أوساط مقرري السياسات العامة والجهات المانحة، ويمكن لهذه البيانات أن تضمن زيادة احتمالات استدامة البرنامج.

فوائد برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية

قد تبدو مهمة انتقاء وتنفيذ برنامج أثبتت فعاليته في التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، وذلك بالاستفادة من المبادئ الواردة في هذا الدليل الإرشادي لتنفيذ برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية من أجل الوقاية من تعاطي المخدرات، مهمة مُربكة بالنظر إليها على ضوء ما تتطلبه من تخطيط وموارد. ومع ذلك، فإن من المأمول أن يمدّ هذا الدليل الإرشادي القراء، ومقرري السياسات العامة ومديري البرامج بإحساس قوي يدركون به الفوائد المحتملة من استخدام هذه الاستراتيجية وما تقدّمه من نتائج طيبة في الأجلين القصير والطويل معا. واقتباساً من قول أحد المشاركين في اجتماع المشاورة التقنية الذي عقده مكتب الأمم المتحدة المعنى بالمخدرات والجريمة بشأن برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية، فإن "تنفيذ برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية التي ثبتت فعاليتها، لا يعني المزيد من العمل بل يعني المزيد من الذكاء في العمل، لأن القصد منه أن يكون عملاً أكثر فعالية." وإن مؤلفي الدليل وموظفي مكتب الأمم المتحدة المعنى بالمخدرات والجريمة هم على ثقة بأن رحلة الاستكشاف خلال تنفيذ برامج التدريب على اكتساب المهارات الأسرية مع الأسر في مجتمعاتكم المحلية سوف تكون رحلة تجلب النفع والخير.

كيفية الحصول على منشورات الأمم المتحدة
يمكن الحصول على منشورات الأمم المتحدة من المكتبات ودور التوزيع في جميع أنحاء العالم. استعلم
عنها من المكتبة التي تتعامل معها أو اكتب إلى: الأمم المتحدة، قسم البيع في نيويورك أو في جنيف.

如何购取联合国出版物

联合国出版物在全世界各地的书店和经营处均有发售。 请向书店询问或写信到纽约或日内瓦的联合国销售组。

HOW TO OBTAIN UNITED NATIONS PUBLICATIONS

United Nations publications may be obtained from bookstores and distributors throughout the world. Consult your bookstore or write to: United Nations, Sales Section, New York or Geneva.

COMMENT SE PROCURER LES PUBLICATIONS DES NATIONS UNIES

Les publications des Nations Unies sont en vente dans les librairies et les agences dépositaires du monde entier. Informez-vous auprès de votre libraire ou adressez-vous à: Nations Unies, Section des ventes, New York ou Genève.

КАК ПОЛУЧИТЬ ИЗДАНИЯ ОРГАНИЗАЦИИ ОБЪЕДИНЕННЫХ НАЦИЙ

Издания Организации Объединенных Наций можно купить в книжных магазинах и агентствах во всех районах мира. Наводите справки об изданиях в вашем книжном магазине или пишите по адресу: Организация Объединенных Наций, Секция по продаже изданий, Нью-Йорк или Женева.

CÓMO CONSEGUIR PUBLICACIONES DE LAS NACIONES UNIDAS

Las publicaciones de las Naciones Unidas están en venta en librerías y casas distribuidoras en todas partes del mundo. Consulte a su librero o diríjase a: Naciones Unidas, Sección de Ventas, Nueva York o Ginebra.

UNODC



مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة

Vienna International Centre, PO Box 500, 1400 Vienna, Austria
Tel.: (+43-1) 26060-0, Fax: (+43-1) 26060-5866, www.unodc.org